جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كليةالعلوم الإنسانية والاجتماعية

شعبة الفلسفة

ميدان :علوم اجتماعية

فرع :فلسفة

تخصص :تاريخ الفلسفة

إعداد الطالبة: خالدي نبيلة

الموضوع:

فلسفة التسامح عند فولتير

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر أكاديمي

نوقشت و أجزيت علنا يوم : 2016/06/02

بحضور اللجنة المكونة من :.....

د.زيغمي احمد .....أستاذ محاضر جامعة قاصدي مرباح ورقلة	رئيسا
برابح عمر .....أستاذ مساعد ا جامعة قاصدي مرباح ورقلة	مشرفا
شهيدة لعموري.....أستاذ مساعد ا جامعة قاصدي مرباح ورقلة	مناقشا

الموسم الجامعى : 2016/2015

شكر وعرفان

أولا و قبل كل شيء نحمد الله الكريم العزيز الحميد على منه و كرمه و توفيقه لإتمام هذا العمل و انجازه على هذا الوجه ، فله كل الفضل و الشكر على ذلك.

ثم نتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذنا بباج عمر الذي تفضل بالإشراف على هذه الدراسة الذي نم يبخل علينا لا بوقته و لا أفكاره و لا توجيهاته السديدة لإثراء هذه الدراسة.

مقـــدمة

تمثل الفلسفة الغربية الحديثة وفلسفة الأنوار على وجه الخصوص انطلاقة نحو التجديد على مستوى إشكالية المعرفة و القيم، كما مثّل عصر الأنوار محاولات كثيرة للتجديد علي مستوى الأخلاق، ومن أهم هذه القيم التي كانت سائدة " التسامح " بوصفه قيمة أخلاقية ذات علاقة بالسياسة و المجتمع والدين.

ومن بين أهم رواد هذا الاتجاه التنويري " فرانسوا ماري اروبه" François Marie Arouetالمعروف باسم " Voltaire فولتير"، وهو من أكثر فلاسفة الأنوار دفاعا عن مبدأ التسامح، حيث تناولت أعماله الأدبية والفلسفية مواضيع إنسانية بحتة، فقد دافع فولتير عن الإنسان ونبذ كل أشكال الظلم و التعصب والاستبداد ودعا إلى الحرية والتسامح، وكان يحلم بمجتمع فرنسي تتعايش فيه الطوائف الدنية مع بعضها البعض، وتحترم حقوق الإنسان وتمنح له الحرية في ممارسة معتقداته و التعبير عن أرائه، فكانت أقلام وكتابات فولتير بمثابة سيوف ترفع في وجه الكنائس والطوائف الدينية المتعصبة المستبدة.

ومن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع: الميل للمواضيع ذات الأبعاد الإنسانية، الحوار و التعايش و التواصل...، وقلة الأبحاث العلمية عن الموضوع وعن هذا الفيلسوف.

وعليه، تكون إشكالية هذه الدّراسة كالآتي: هل يمكن اعتبار فكرة التسامح أصيلة في عصر التنوير، وما هي مظاهرها من خلال فلسفة فولتير عامة ورسالته في التسامح خاصة؟

وإشكالاتها الفرعية هي: ما هو مفهوم التسامح ؟ وما هي دلالاته في الفكر الديني والفلسفي عبر التاريخ ؟ كيف نظرت الفلسفة الوسطية المسيحية و الحديثة قبل عصر التنوير إلى علاقة الإنسان بالإنسان؟ ما هي خصائص فلسفة الأنوار ؟ كيف عالجت فلسفة فولتير مسألة التعصب والتسامح من خلال فلسفته النقدية للكنيسة المسيحية ؟

ولمعالجة هذه الإشكالية وتساؤلاتها الفرعية اعتمدنا على خطة العمل التالية:

بدأنا دراستنا بالبحث في نشأة و مفهوم مصطلح التسامح من حيث اللغة والاصطلاح، كما بحثنا في فكرة التسامح في الحضارات الشرقية القديمة و في الفكر اليوناني، وبما أن التسامح قيمة إنسانية بحثنا في علاقة الإنسان بالإنسان في الفكر الوسطي (أوغسطين وتوما الإكويني أنموذجين)، وفي بدايات الفلسفة الحديثة (فلاسفة العقد الاجتماعي هوبز ولوك أنموذجين)، وبعد هذا بحثنا في فلسفة الأنوار التي تمثل الإطار الفلسفي الفكري لفولتير، كما تناولنا فلسفة فولتير في التسامح ، وختمنا الدراسة بعرض ما توصّلنا إليه من نتائج.

والمناهج التي اتبعناها في دراستنا للموضوع هي:

المنهج التاريخي: فقد تتبعنا إرهاصات فكرة التسامح في الحضارات القديمة ومدلولاتها عند الفلاسفة اليونانيين ثم العصور الوسطى وصولا إلى عصر الأنوار .

المنهج التحليلي: حيث قمنا بتحليل مضامين نصوص فولتير المتعلقة بعنوان المذكرة.

والأهداف التي نسعى للوصول إليها من خلال هذه الدراسة هي :

*تبيين الدور الذي لعبه الفكر التنويري لفولتير في حالة التسامح التي وصل إليها المسيحيين فيما بينهم اليوم.

* الاستفادة من التجربة الأخلاقية المسيحية لتجاوز الخلاف الإسلامي- الإسلامي(السنة والشيعة) .

وقد واجهتنا بعض الصعوبات أثناء هذه الدّراسة منها :

* قلة الدراسات السابقة حول الموضوع .

* صعوبة الحصول على نصوص أصلية لفولتير، وصعوبة فهمها أثناء الحصول عليها.

* صعوبة استخلاص دلالات مصطلح التسامح في الحضارات الشرقية القديمة وفي الفكر اليوناني نظرا لحداثته كمصطلح .

الفصل الأول

فكرة التسامح في الحضارات الشرقية

و في الفلسفة اليونانية

المبحث الأول : التسامح بين النشأة والمفهوم

المبحث الثاني : فكرة التسامح في الحضارات الشرقية

المبحث الثالث : التسامح في الفلسفة اليونانية

المبحث الأول: التسامح بين النشأة والمفهوم:

أ) النشأة:

"ولدت كلمة التسامح في القرن السادس عشر(16م) نتيجة الحروب الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت، فقد انتهى الأمر بأن تساهل الكاثوليك*مع البروتستانت** والعكس، ثم صار التسامح يرتجي اتجاه جميع الديانات وكل المعتقدات، وفي آخر المطاف، في القرن التاسع عشر(19م) شمل التسامح ، الفكر الحر"[1].

وبالرغم من تبلور مفهوم التسامح وتطبيقه في العصر الحديث والمعاصر، إلا أنه لا يعني خلو الحضارات القديمة منه لأن التسامح ضروري للاستمرار والتقدم وهذا ما حدث مع الحضارات القديمة، فلابد أن يكون قد سادها جو من التعايش والمحبة.
لذلك، توجّب علينا أولا أن نبحث في مفهوم التسامح ودلالته اللغوية والاصطلاحية.

* **الكاثوليك:** جاءت التسمية الكاثوليكية من الكلمة الإغريقية Kathalicos وتعني عالمي أو General، Universl وقد استعمل هذا المصطلح منذ القرن الثاني(02م) وثبت في سنة 834م من قبل "سيرل" للتفريغ المبادئ المتكاملة والواضحة الأهداف للبشرية والأوسع انتشارا في العالم عن بقية الكنائس و المدارس والاتجاهات المحلية المتفرقة، وقد كانت أعلى وأشهر مرجع ديني مسيحي في العالم منذ جلوس "القديس بطرس" على كرسي الكنيسة الكاثوليكية الرومانية.(مانع السعدون، **المسيحية العقيدة والمذاهب والتاريخ** ، دار الينابيع، سوريا، ط1، 2010، ص ص 147 – 148).

** **البروتستانتية:** هي العقيدة التي أتى بها المصلح الألماني مارتن لوثر ، وتسمى كنيستهم أيضا بالإنجيلية،ويقصد بهذه التسمية إلى أن أتباع هذه الكنيسة يتبعون الإنجيل دون غيره ، ويفهمونه بأنفسهم ، ولا يخضعون لفهم سواهم له ، ولاتختص بفهمه طائفة دون أخرى ، فلكل قادر الحق في فهمه وجميعهم متساوون أمام هذا الكتاب ، وبهذا الاتجاه يعارضون الكنائس الأخرى التي تعتبر فهم الإنجيل وقفا على رجال الكنيسة. (احمد شلبي ، **مقارنة الأديان**، مرجع سابق ، ص242).

[1] اندريه لالاند، **موسوعة لالاند الفلسفية**، المجلد الأول، تر: خليل أحمد خليل، (دار عويدات، بيروت، ط2، 2001)، ص 1460.

ب) المفهوم:

التسامح لغة :

جاء في القاموس المحيط:

"سمح– ككرم : سماحا وسماحة و سومحا وسمحًا ككتاب: جاد . وكرم، كأسمح[1]، فهو سمح وتصغيره: سمح وسميح وسمحاء، ككرماء؛والسمحة: اليسر السهل، و المساهلة كالمسامحة؛وتسامحوا، تساهلوا.

و أسمحت قرونته: ذلت نفسه، والدابة: لانت بعد استصعاب، وعود سمح لا عقدة فيه، وأبو السمح خادم النبي صلى الله عليه وسلم"[1].

نقول تسامح في الشيء أي تساهل فيه، فالمسامحة إذن تعني المساهلة.

أما في تعريفات الجرجاني:" فإن المسامحة هي ترك ما تحب تنزها.

* التسامح هو أن لا يعلم الغرض من الكلام، ويحتاج في فهمه إلى تقدير لفظ آخر.

* التسامح : استعمال اللفظ في غير الحقيقة بلا قصد، علاقة معنوية ولا نصب قرينة ذلك عليه اعتماد على ظهور المعنى في المقام الأول فوجود العلاقة يمنع التسامح؛ أي يرى أن أحدا لم يقل: إني "رأيت أسدا يُرمي في الحمام" تسامح؛والتساهل في العبارة أداة لفظ بل حيث يدل على المراد دلالة صريحة"[2].

والتسامح هو الترجمة العربية للمصطلح الفرنسيtolérance[3] وتعني:

1- التسامح اسم مؤنث، احترام حرية الآخر، أرائه، طريقة نمط عيشه...الخ.

2- وضع حدود بالنسبة لمبدأ معين.

3- القدرة علو دعم مواد معينة.

---

[1] مجد الدين محمد ابن يعقوب الفيروزابادي، **القاموس المحيط** ،(مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ط8، 2005)، ص225.

[2] على بن محمد الجرجاني ، **معجم التعريفات**، تحقيق : محمد صديق المنشاوي (دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير،القاهرة، د ط، د س)، ص 51.

[3] (Dictionnaire de francais . **ed ,larousse**,2008,p 424.)

التسامح اصطلاحا: وللتسامح من الناحية الاصطلاحية العديد من التعريفات :

-يقول اندريه لالاند:" هو طريقة تصرف شخص يتحمل بالاعتراض أذى مألوف يمس حقوقه الدقيقة ، بينما في إمكانه رد الأذية [1]" .

- يقول جميل صليبا:"هو أن تترك لكل إنسان حرية التعبير عن آرائه وإن كانت مضادة لأرائك ، وقريب من هذا المعنى قول غوبلر*:إن التسامح لا يوجب على المرء التخلي عن معتقداته أو الامتناع عن إظهارها أو الدفاع عنها أو التعصب لها، بل يوجب عليه الامتناع عن نشر آراءه بالقوة والقدح والخداع [2]".

- ويضيف صليبا:"هو أن يحترم المرء آراء غيره لاعتقاده أنها محاولة التعبير عن جانب من جوانب الحقيقة، وهذا يعني أن الحقيقة أغنى من أن تنحل إلى عنصر واحد، وأن الوصول إلى معرفة عناصرها المختلفة يوجب الاعتراف لكل إنسان بحقه في إبداء رأيه، حتى يؤدي إطلاعنا عن مختلف الآراء إلى معرفة الحقيقة الكلية، فليس تسامحنا في ترك الناس و ما هم عليه من عاداتهم و اعتقاداتهم وأرائهم، من نجود بها عليهم، وإنما هو واجب أخلاقي ناشئ عن احترام الشخصية الإنسانية[3]".

والتسامح في اصطلاحات فولتير Voltaire (1694-1778*) وغيره من فلاسفة القرن الثامن عشر

هو" ما يتصف به الإنسان من ظرف وأنس وأدب وتمكن من معايشة الناس رغم اختلاف آرائهم"[4].

أما في القرآن الكريم فمصطلح التسامح قد ذكر في العديد من المواضع، لكن بمصطلح مرادف وهو العفو، والعفو صفة من صفات الله عز وجل،فهو العفو الغفور.

---

[1]- أندريه لالاند، **موسوعة لالاند الفلسفية**، المرجع السابق، ص 1460.

* **غوبلر:** باحثة فلسفية فرنسية معاصرة (1927) ، مدرسة الفلسفة السياسية والقانونية في جامعة كان ، ورئيسة التحرير مجلة دفاتر الفلسفة السياسية،من مؤلفاتها :نيتشه والاعتداء الميتافيزيقي ،في فلسفة هربز نبتش والمسألة السياسية، ....(جورج طرابيشي، **معجم الفلاسفة**، مرجع سابق، ص 443).

[2] جميل صليب، **المعجم الفلسفي** ، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ط، 1982. ص 271.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

* **فولتير** :ولد في باريس في 24 نوفمبر1694 ، فيلسوف وكاتب فرنسي كتب ملحمة شعرية عن هنري الرابع، لكن السلطات رفضت الإذن بنشرها لأن فيها تمجيد للبروتستانت وللتسامح الديني، لكن قام بطبعها سرا، تحت عنوان "العصابة" أو هنري الكبير،نشرت في سنة 1756، ومن مؤلفاته أيضا: "أخلاق الأمم وروحها"، و"القاموس الفلسفي"، قام فولتير بالدفاع عن ضحايا التعصب الديني في فرنسا، وهي لهم ملجأ في ضيعة في فرنيه، توفي في 30 ماي 1778 في باريس. (عبد الرحمان بدوي، **موسوعة الفلسفة**، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1 ، 1984، ص 271).

[4] جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، المرجع سابق، ص271.

قال تعالى"ولقد عفا الله عنهم".[1]وقال أيضا"خد العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين"[2].

وقال"وجزاء سيئة سيئة مثلها، فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين[3].

"ومعنى هذا كما جاء في تفسيرات القرآن هو :عن أبي معاوية عن هشام عن وهب بن كيسان عن ابن الزبير "خد العفو"قال خد من أخلاق الناس والله لآخذناه منهم ما صاحبتهم؛ ويعتبر هذا من أشهر الأقوال التي شرحت مدلول كلمة "العفو" في القرآن الكريم، ويشهد لهذا القول ما رواه ابن جرير وابن أبي حائم جميعا؛ يقول: حدثنا يونس،حدثنا سفيان عن أمي قال: لما أنزل الله "عز وجل"على نبي صلى الله عليه وسلم"خد العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين" قال صلى الله عليه وسلم: ما هذا يا جبريل؟

قال: إن الله أمرك أن تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك،وتصل من قطعك[4].

وكذلك قال عبد الرحمان بن زيد بن أسلم في قوله : " خد العفو"

أمره الله بالعفو والصفح عن المشركين عشر سنين، ثم أمره بالغلطة عليهم واختيار هذا القول ابن جرير[5].

انستنتج من ذلك أن دلالة التسامح تختلف عن دلالة العفو، فالتسامح ينطلق من قاعدة التنازل عن حقوق معينة وهو ناتج عن حالة عدم القدرة على استرداد الحق، بينما العفو فهو ينطلق من القدرة علسترداد الحق لكن الإنسان يتجاوزه إلى العفو عن المسيء.

[1] آل عمران/195

[2]الأعراف / 199

[3] الشورى/ 40.

[4] الشورى/40.

[5]سماعيل ابن كثير الدمشقي، **تفسير القرآن الكريم** ؛ المرجع السابق، ص488.

المبحث الثاني: فكرة التسامح في الحضارات الشرقية:

لم يعرف التسامح كما ذكرنا من قبل كمصطلح إلا في العصر الحديث، لكن ومن جهة أخرى عرف كفعل مند الحضارات القديمة، فقد سعت هذه الأخيرة إلى تطبيق قيم العدل والمحبة والتعايش...

من خلال تشريعاتها السياسية، كما هي موجودة في الحضارتين: حضارة ما بين النهرين وعند البوذيين، ومن خلال ممارستها ومعتقداتها الدينية: عند الفراعنة و"الكونفوشيوسين" في الصين.

أ:الحضارة الفرعونية وإذا بحثنا في تاريخ الحضارات الشرقية القديمة نجد بداية أن "الإنسان المصري قد آمن بالحياة الآخرة، وقام بتبريرها أخلاقيا، على أساس أفعاله في هذه الحياة بما تحتويه من خير وشر، فقد مثل هذا الإيمان دافعا لهم إلى فعل الخير والابتعاد عن الآثام [1]".

لم يخضع المصريون للسيطرة كباقي الشعوب الأخرى المحاذية للصحراء العربية كفلسطين والعراق، حيث تمتع الإنسان المصري بكافة أشكال التحرر والترف، فقد اكتظت مصر بالأهالي القادمين إليها من مختلف البقاع، وهذا يؤذي بالضرورة إلى تنوع في الثقافات، فكل وارد إليها يحمل معه علوم وثقافة المكان الذي جاء منه، فأكسبه هذا، ميل إلى الانفتاح الفكري على الغير، فتقبلوا أكثر الأفكار تباينا فيما بينها وفيما عندهم من تقاليد ومعتقدات، ووضعوها معا فيما نسميه اليوم فلسفات متناقضة غير منتظمة، فجمعوا بين القديم والحديث ولم يتخلوا عن أفكارهم التي أتتهم من الثقافات الأخرى، أما بقية الشعوب المحاذين لها فقد بقيت في عزلة وانغلاق متمسكة بالتقاليد القديمة وخاضعة لها، لا يتقبلون أي جديد ولا يكترثون له .

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد كان الإنسان المصري في تفاخر اعتزاز بنفسه، فالإنسان عندهم هو المصري فقط، أما بقية الشعوب الأخرى فلا تعتبر هكذا ما دامت لا تقطن في مصر، فهو شبه مدني رغم التحرر الذي كان فيه، فعزلته الجغرافية بسبب البحر والصحراء جعلته ينقطع عنهم،فقد كان يميز بين الناس من ناحية وبين الأسيويين أو الإفريقيين من ناحية أخرى، فهم يرون الأناس هم المصريون فقط ، أما الآخرون فلا.

لقد اختلفت الحضارة الفرعونية عن بقية الحضارات الأخرى ليس بسبب الموقع الطبيعي وحسب بل وحتى من الناحية الدينية والأخلاقية، فإيمانهم بالحياة الآخرة لا يظهر فقط في طقوسهم الجنائزية وإنما في حياتهم أيضا،" فقد ساعدهم اعتقادهم بالإلوهية في تأكيد الارتباط بسب الفعل الحميد والمصير الحسن الذي سيلقاه الإنسان في حياته الآخرة [2]"

[1] مصطفى النشار، **المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية**،(دار الأنباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1،1998)، ص 77.

2 المرجع نفسه ، ص 77.

"وقد عبروا عن هذا المصير بكفتي ميزان، حيث يوجد في الكفة الأولى رمز الإلهة " معات" وهي إلهة العدالة والحقيقة والوفاق[1]"، وهاته الإلهة رمز من رموز العدل في الحضارة المصرية؛ "وفي الكفة الثانية قلب الميت، فإذا استطاعت فضائله إحداث توازن مع كفة الحقيقة سوف يتم إصدار الحكم لصالحه، بالسعادة الأبدية، وإلا فهناك وحش يسمى ملتهم الموتى، يقف منتظرا القضاء على الشخص المدان[2]"؛ ونستنتج من ذلك أن التفكير الديني عند قدماء المصريين مبني على تصورات أسطورية.

كما ارتبطت العدالة ونظام العالم باسم "راع" وهو فرعون و"معات" هي ابنته، وضعت النظام الأخلاقي في بداية الخلق، " فقد اكتسبت "معات" مكانة في المجتمع المصري و ارتبطت بكل ما هو خير وعدل وسعادة، فثورة "أخناتون"*، قام بها المصريون على السلطات المطلق تحت شعار "معات" ، لكن لا يعرف حقيقة أكانت هذه الثورة احتجاجا خلقيا على سوء استعمال السلطة، أم مناورة سياسية تستهدف وضع السلطة في يد حزب جديد؟[3]".

فربما تكون هذه الثورة ذات أهداف خفية لبلوغ السلطة لكنها حملت شعار "معات" لتوصف بالعدالة و الإنصاف، فمعات استعملت مجازر بمعنى الخلق القويم والفضيلة والحق والعدالة.

"كان التوكيد شديدا عليها في المملكة الوسطى بمعنى العدالة الاجتماعية ومعاملة الغير بالحسن؛ ومنه فإن العدالة عند الفراعنة لم تكن مجرد تعامل وقانون بل كانت السعي وراء خير الآخرين عند الحاجة، كالسماح للفقير بعبور النهر في العبَارة وإن يعجز عن دفع الثمن وفعل المعروف دون توقع معروف آخر في المقابل[4]".

---

1 جفري بارندر، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب** ، تر: إمام عبد الفتاح إمام (المجلس الوطني الثقافة والفنون والأدب الكويت، 1993، ص45).

2 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

* **أخناتون**: هو ملك وفيلسوف مصري الذي عاش في حوالي القرن الرابع عشر قبل الميلاد وكان يسمى "آمن حوتب" الرابع وكان المكرس للإله "آثون"، وقام بثورة فكرية دينية وأخلاقية واجتماعية لم يعرف لها التاريخ القديم شبيها(مصطفى النشار ، **المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية** ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ط1 ، 1997). ص 78.

3 هـ - فرانكفورت، **ما قبل الفلسفة الإنسان في مغامرته الأولى**، المرجع السابق ص 107

4 المرجع نفسه، ص 129

فمن هنا تظهر فكرة التسامح عند الفراعنة بالرغم من التعصب والغلو الذي فرضته عليها الطبيعة الجغرافية والمعتقدات الدينية، فقد فرض عليها العلم قبول الأفكار الجديدة، وفرضت عليها الطبيعة الإيمان بأنها مركز الكون، وأن الحياة تنتصر على الموت من ظاهرتان أساسيتان في المشهد المصري هما: "ميلاد الشمس المظفر من جديد كل يوم، وميلاد النهر المظفر من جديد كل سنة[1]".

ومنه فالحضارة المصرية، عرفت التسامح كفكرة وفعل من خلال الإيمان بالحياة الآخرة، ومنه عمل الخير والابتعاد عن الآثام وإرساء قواعد العدالة والنظام.

كما عرفت أيضا الانفتاح على علوم الحضارات الأخرى، وعرفت التعصب وهو عدم قبول أي شعب خارج مصر بأنه إنسان، وربطت حياتها الاجتماعية والسياسية بالأخلاق و الدين فالملك هو إله، وهو يسير شؤون الرعية بمساعدة آلهة أخرى، وهذا ما يميزها عن بقية الحضارات، فهي تثق في قدرة الإنسان وتؤمن بحياته في العالم الآخر وترى أن عمله الخير هو الذي يوصله إلى السعادة الأبدية.

ب: حضارة بلاد ما بين النهرين :ومن جهة أخرى نجد حضارة بلاد مابين النهرين كغيرها من الحضارات الشرقية، ربطت الأخلاق بالدين والسياسة، لكن التسامح كممارسة أخلاقية، كما ذكرنا سابقا لم يظهر كلفظ لكن يمكننا الاستدلال على وجوده من خلال البحث في الفكر الديني والأخلاقي عند السومريين والبابليين.

" نجد من الناحية الدينية أن السومريين، قد ربطوا الدين بالسياسة، وأنزلوا الآلهة من السماء إلى الأرض، وأتى الكهنة بمفهوم البلية ووضعوا الملوك نواب الآلهة، يسيرون هذا العالم بقوة منهم، فأصبح بهذا وجود الملك مستمد من الإله، بل وتطورت الأمور إلى حد أصبح فيه وجود الإنسان رهنا بوجود الملوك وموافقته لكهنة المتواطئين.... وهكذا فقدت الآلهة مركزيتها كفاعلية مباشرة تحكم عبر الملوك[1]"؛ فالملك أصبح إله يقرر الخير ويقرر الشر للناس وهو الذي يعاقب المذنب، ويثيب المحسن ولهذا لم تعد للآلهة في هذه الدولة مكانة، فالملك هو الإله وهو الذي يقرر المصير والدين هو إتباع تعاليمه وقوانينه، فخضعت الآلهة لسلطة الملك والكهنة، مما سيؤدي إلى خضوع الناس لها، وبهذا فإن أصبحت الآلهة خاضعة لكنها مسؤولة عن تبرير تصرفات الملك اتجاه الشعب عن طريق الكهنة. بل تجاوزت الأمور إلى حقل الممارسة الإنسانية كقيمة اجتماعية وأخلاقية في آن معا، فقد برر الكهنة للملوك كل ممارستهم السلبية والإيجابية، بصكوك الغفران، "الأفعال الجيدة والسيئة هي من الآلهة مقدر لها سلفا أن تحصل، وسلوك الملوك السلبي والإيجابي الجيد والسيئ تتحمل مسؤوليته الآلهة، ويتلقى نتائجه الشعب، قدرية جبرية في أكثر صورها زيفا وخداعا[2]".

1 هـ - فرانكفورت، **ما قبل الفلسفة (الإنسان في مغامرته الأولى)** ، المرجع السابق، ص49

2 محمد حسن، **تيارات الفلسفة الشرقية**، (منشورات دار علاء الدين، دمشق، سوريا 1999) ص 103.

إذن؛ هذه هي علاقة الدين بالسياسة علاقة نظام الحكم والممارسة الدينية للكهنة التي توضح أن الهدف من إنشاء المدينة الرافدية هو هدف سياسي ديني في نفس الوقت، فالمعبد يمثل مركز الحكم في الدولة الرافدية لأنه كما ذكرنا أن الملك هو الإله، وهذا مكانه الطبيعي في هذه الحالة، فالملك هو قائد المعبد وقائد الشعب.

ومن بين ملوك حضارة بلاد النهرين (البابلية) الذين حكموها "حمو رابي"* الذي بدأ معه القانون فقد وضع "حمو رابي" قانون خاص به، يراعي قضية القانون الديني من جهة والقانون الاجتماعي من جهة أخرى، حيث أمر "حمو رابي" بتنفيذ كل تعليماته، فهو وضعه لينشر الأمن والعدالة والسلام داخل المجتمع البابلي ومن بين ما جاء فيه: «حمو رابي الملك الكامل، أنا من أجل البشر الذين منحهم إياي الرب "إنليل"....وولاني رعايتهم الرب "مرحوك"، لم أكسل ولم أقعد مكتوف اليدين، بحثت لهم عن مواقع الخير....وأؤمن لهم العيش بسلام، أطمئن عليهم في أعماق معرفتي لا أسمح للقوي سلب حق الضعيف؛كتبت كلماتي العذبة هذه أمام صورتي كملك يقيم العدل الملك الشامخ بين الملوك»[1].

كما يوضح هذا القانون سعيه إلى ترجمة الحق، إلى تطبيق عملي فهو يقول: "على كل رجل في المملكة احترام الكلمات التي جاءت في مسلتي (شريعتي) وهي مسلة تتألف من أربعة وأربعين حقلا أو عمودا وتضم مائتان واثنان وثمانين(282) مادة قانونية ومن بين هذه المواد: إذا رفع شخص إصبعه فأشار بسوء إلى كاهنة أو امرأة رجل بدون أن يثبت التهمة بجلد هذا الرجل أما القضاة وتجز ناصيته أي يوسم عبدا[2]".

فقانون "حمو رابي" هذا قانون شامل لكل مسارات الحياة وقضاياها فهو سن شرائع بخصوص الملكة الخاصة الأعمال التجارية العقارات – العمل – العائلة – العقوبات...الخ

"انطلق "حمو رابي" في شريعته من التشكيلة الاجتماعية للبابليين والمنطوين على تقسيم طبقي ثلاثي المنازع الاجتماعية وهي النبلاء والطبقة الوسطى الأرقاء أو العبيد ووضع لكل طبقة ميزتها القانونية إضافة إلى حقوقها وعقوباتها[3]".

فقانون "حمو رابي"، قانون قائم على العدل لكن لم يتغير من طبقات المجتمع في شيء فقد بقي السيد سيد والعبد عبد، "فقد جاء لصالح الطبقة الأولى وانعدام الحق الجزائي لطبقة العبيد، ويظهر هذا التميز بين الطبقات في الحقوق والعقوبات من خلال بعض المواد التي ينص عليها منها:

---

* **حمو رابي (1728 – 1686 - ق – م)**: يعتبر من أعظم ملوك بلاد ما بين النهرين، وكان يجمع صفات القائد العسكري الماهر،والسياسي المحنك والملك العادل والمشرع المصلح والحازم (حلمي محروس إسماعيل، **الشرق العربي القديم ومضارته**، (مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 1998 ص 38).

1 محمد حسن، **تيارات الفلسفة الشرقية**، (منشورات دار علاء الدين، دمشق، سوريا 1999) ص 103.

2 المرجع نفسه، ص 76

3محمد حسن، **تيارات الفلسفة الشرقية**، المرجع السابق، ص 106

إذا أفسد شريف عين رجل من العامة فليدفع له منا من الفضة، وإذا أفسد شريف عين شريف آخر فليفسد عينه، أما العبد فكان في القانون البابلي مجرد عقار منقول يملكه سيده ويحق له أن يفعل به ما يشاء[1]".

ونقطة التحول التي أحدثها "حمو رابي" في القانون البابلي القديم هي: "نقل العقوبات القانونية من قبضة الكهنة والقانون الديني إلى قبضة الحكام ورجال القانون الوضعي، فالقانون الكهنوتي كان يحكم العين بالعين والسن بالسن وجاء حمو رابي ليضع بدلا من قانون دفع الغرامة ولم تكن شريعة "حمو رابي" لتقدم أي قانون يعبر عن حق الفرد تجاه الدولة [2]"، فحمو رابي صحيح انه غير القانون ونقله من قانون ديني إلى قانون دنيوي ،لكن بقية فيه صفة حكم العين بالعين و السن بالسن، حيث نجد في إحدى مواده تقول كما سبق وذكرنا :انه إذا افسد الشريف عين شريف أخر فليفسد عينه.

ومنه ففكرة التسامح عند البابليين وعند حمو رابي لا تتوافق مع فكرة العدل، فحسبهم يعتبر التنازل عن حقي لمن ظلمني أكون قد خالفت القانون، وهذا بِدي إلى انتشار الظلم والفساد واستغلال القوى للضعيف والتسلط عليه، فالتسامح لم يكن موجودا إلا في صورة المحبة و الوفاق مع الآخرين في حالة السلام، أما في حالة تعدي طرف على الأخر، فلا يوجد مكان للعفو بينهم، كما أن حمو رابي وضع العدل ودعا إليه بين أفراد الطبقة الواحدة، وليس الطبقات الثلاثة فيما بينها، فالعفو يكون بين السيد والسيد وليس العبد وسيده.

ج: الحضارة الهندية: أما الفلسفة الهندية* فقد قامت على فكرة "التأكيد على ضبط الذات والسيطرة على النفس عن طريق التغلب على الرغبات، وهذا للتخفيف من المعاناة وبالتالي تحصيل السعادة والحياة الخيرة[3]"، ومنه فإن العيش في ظل سيطرة الإنسان الكلية على ذاته تعتبر من أهم الممارسات العملية للفلسفة الهندية كما قامت أيضا على فكرة "افتراض وجود عدالة أخلاقية كلية، حيث تنظر إلى العالم على أنه مسرح أخلاقي كبير ترأسه العدالة[4]"، أما ما يصيب الإنسان من خير أو شر فيمكن اعتباره جزاء يستحقه إزاء عمله فالخير هو ثواب عمل الإنسان الصالح أما الشر فهو جزاء عمله الشرير.

---

1 محمد حسن، **تيارات الفلسفة الشرقية** ، المرجع السابق، ص107

2 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

***الفلسفة الهندية**: ظهرت وتطورت في ظل عدة مذاهب ومدارس فلسفية جعلت من عملية الكتابات والشخصيات التي تمثلها وتنقسم مدارس الفلسفة الهندية لدى المتخصصين فيها إلى ست مدارس أرثودوكسية وإثنان غير أرثوذوكسية هما البوذية و الجانسية ويمكن تقسم الأرثوذوكسية إلى ثلاث أزواج على النحو التالي : سامكيا، يوجا، وفايسيسكا، وفيدانتا.(مصطفى النشار، **المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1997 م، وميماسا ص 93).

3 جون كولر، **الفكر الشرقي القديم**، تر: كامل يوسف حسين و إمام عبد الفتاح، (عالم المعرفة، الكويت، د ط، 1995)، ص29.

4المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

والتيار الذي عبر عن الفلسفة الهندية المتسامحة هو: الديانة "البوذية" وهو مجموعة من الآراء الفلسفية والدينية التي نشأة من تعاليم مؤسسها...[1].بوذا** وأساسها القول بأن حياة الإنسان في الدنيا شر وألم ومعاناة، وأن التخلص منها وإنما يتم بالاندماج في الوحدة الشاملة وهي "النرفانا"* وسبيل ذلك هو الزهد ومحاربة الرغبات والشهوات.

"تتمثل الرسالة الأساسية للبوذية في المعاناة فقد بحث البوذيون فيها من خلال البحث في وجودها وأسبابه، وكيفية القضاء عليها، فالقضاء على المعاناة وأسبابها، يمثل الطريق الوسط المعتدل بين الخير والشر وهو ما توصل إليه بحث البوذيين في المعاناة[2]"، وتشكل هذه الرسالة أولى عظات بوذا بعد استنارته، فقد وضعت البوذية تعاليم ومبادئ لكي تسير تصرفات الإنسان المختلفة وفقها وتعبر عنها وهي الشُعب الثمانية في الديانة البوذية وهي:"

سلامة النية (الحكمة) سلامة الرأي، سلامة القول، سلامة الفعل وسلامة العيش، وسلامة الجهد وسلامة الوعي وسلامة التركيز[3]".

فبوذا كان يدعو إلى المحبة والسلام في نشر رسالته وقد قام بنشرها بالاعتماد على مجموعة من أتباعه ليستطيع إيصال تعاليمه إلى أبعد نقطة ممكنة في الهند وغيرها، وقد تميز أتباع بوذا بروح العدل والتسامح ويظهر هذا من خلال حوار دار بين بوذا وأحد أتباعه قبل انطلاقه نحو إحدى الوجهات لنشر الرسالة وجاء فيه:

"قال بوذا:

---

[1] . إبراهيم مدكور، **المعجم الفلسفي**، المرجع السابق، ص187

** **بوذا:** اليقظ، الملهم، البصير،هي من فئات الكلمة السنسكرية التي تسمى مؤسسة البوذية، عاش حوالي نحو 500 أو 480 ق- م في شمال شرقي الهند، انحدر من أسرة من الأمراء وسمى عند مولده سيذارتا، وقد دعي أيضا غوتوما من أسماء النبلاء، لقد ترك خيرات الحياة الدنيا ورغد العيش الذي كان يعيش فيه (زهد) في سن التاسع والعشرين(29) من عمره وكرس نفسه لحياة الكفارة والتوبة والليلة الخالدة التي كشف له فيها، بعد سبع سنوات من المداولات والمجاهدة والامتحان لغز العالم، تدل شخصيته على القدرة المستقلة الخارقة للمألوف في النظر العقلي إذ انطلق من الأسس الدينية التوليدية وشيد بها مذهبا دينيا بلا ألوهية وقد كان هذا المذهب شذوذ وهرطقة في وسط كالوسط الهندوسي المشبع بالحس الإلهي، توفي بوذا وعمره ثمانين سنة .(جورج طربيشي، **معجم الفلاسفة**، مرجع سابق،ص ص 197 ،198).

* **النرفانا:** تطلق هذه الكلمة عند البوذيين على الخير الأعلى الذي يبلغه الإنسان برجوعه إلى المبدأ الأول وإمحاء ذاته الفردية واستعمالها شوبنهور في إنكار إرادة الحياة إنكارا تاما.(محمد جواد مغنية، **مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات**، دار ومكتبة الهلال، بيروت) ص224.

[2] جون كولر، المرجع السابق، ص188

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

إن رجال هذه القبيلة قساة سريعو الغضب فإذا وجهوا إليك ألفاظ بذيئة خشنة ثم غضبوا عليك وسبوك فماذا كنت فاعلا؟

فقال: أقول لاشك أن هؤلاء قوم طيبون، لينو العريكة لأنهم لم يضربوني بأيديهم ولم يرجموني بالحجارة.

قال بوذا: فإن ضربوك بأيديهم ورجموك بالأحجار فماذا كنت فاعلا؟

فقال: أقول إنهم طيبون لينون إذا لم يضربوني بالعصي ولا بالسيوف.

قال بوذا: فإذا ضربوك بالعصي وبالسيوف؟

فقال: أقول إنهم لينون إذا لم يرجموني الحياة نهائيا.

فقال بوذا: فإن حرموك الحياة؟

فقال: أقول إنهم طيبون لينون إذا خلصوا روحي من سجن هذا الجسد السيئ بلا كبر ألم.

فرد عليه بوذا: أحسنت إنك تستطيع بما أوتيت من الصبر والثبات أن تسكن في بلاد قبيلة التي أنت ذاهب إليها.فذهب إليهم وكانت النتيجة أن آمنوا كلهم بالبوذية واتبعوها[1]".

مثل هذا أنموذج من أتباع البوذية وبين الروح القوية والمسالمة التي يحملونها والطرق اللينة التي يتخذونها في نشرهم لها، فقد رفع بوذا في دعوته إلى الإيمان بمعتقدات ديانته شعار الإنسانية و حث على احترام حياة الإنسان والحيوان على حد سواء، فنجد أن، "البوذية قد نادت بالرفق بالحيوان ومنعت من قتله سواء كان لهوا كالصيد، أو جدا من أجل أكله، كما دعت الإنسان إلى أن لا يعتبر الحيوان أقل منه خلقا، بل يجب عليه أن يضعه في نفس المنزلة مع نفسه، ويدخل هذا في المحبة الشاملة والهدوء الروحي اللذان دعا إليهما بوذا[2]"، هذا من الناحية الإنسانية، أما من الناحية الدينية فمذهب بوذا لا يعترض على أي دين أو فلسفة لأنه يعتبر أنهما لا يمثلان الحقيقة الكلية، فهو لا يعتقد بدين معين، لأنه يرى جميع المعتقدات والديانات إخوة له، فالبوذية مذهب جمعت فيه كل الديانات والمعتقدات تحت راية واحدة وهي المحبة والنظام، والتسامح حيال كل الاختلافات الموجودة سواء بين هذه الديانات والمعتقدات من جهة، أو بين البوذيين أنفسهم فهم لا يعتبرون الاعتراف بهذا الاختلاف بينهم وبين غيرهم يقلل من شأنهم، ويرى بوذا أنه حتى يصل الإنسان إلى "النرفانا" وهي الحكمة العليا والسعادة الخالدة وصفاء الروح والسكينة، يجب على الإنسان أن يتحرر من الأنانية ومن العيش لأجل نفسه، ويجب أيضا أن يتغلب عن شهواته ورغباته وإطفائها بإتباع طريق تطهير الذهن، وهذا سيؤدي حتما إلى حمل قيم السلام والحنان والحب للآخرين.

---

[1] نقلا عن : جان ماري ريزاس ، **موسوعة الأديان في العالم (الديانات القديمة).** تر : جميل مدبك (دار كريس انترناشيونال ،دط ،دت) ص180.

[2] المرجع نفسه، ص196.

سنقول حتما حسب بوذا:" يجب عليا أنا الذي فزت بالصبر أن أشعر بالحب والحنان لكل الخلق والذين قيدوا بهذه الأغلال، أغلال العلة وتعدد الحياة لقد كسرت أنا هذه الأغلال بنفسي بقلع الشهوة من قلبي فيجب عليا أن أسعى للكل وأجعلهم أحرار[1]"، فتغلب الشهوة على نفس الإنسان، تزرع في قلبه البغض والعداء نحو الآخرين بدل الحب والسلام، وهذا يجعله يحترق بنار أشعلتها الأنانية والتعصب في نفسه.

إذن، فالحياة عند بوذا كلها من الولادة إلى الموت لهيب وحريق إنها نار الشهوة ونار البغض والعداء والهوى.

أما صفات بوذا الإنسان التي كانت متسامحة أكثر من البوذية كفلسفة ودين هي عداه للتعصب الديني والغضب والطيش،" فلم يكن ينظر إلى الدنيا على أنها خبيثة شريرة، بل كان ينظر إليها أنها غافلة جاهلة فهو يؤمن أنه إذا تخلص الإنسان أو استطاع التغلب على المعاناة، فتصبح الدنيا موطنا للحب والسلام فقد دعا إلى المحبة الشاملة ولم يكن يذم أو يسب إنسان(...)[2]".

فبوذا يقول " يجب على كل إنسان أن يغرس في نفسه الحب العميق الصادق لسائر الخلق[3]"، ومنه فإن السبب في الانتشار الكبير للبوذيين هو نزعتها الإنسانية والتسامح الذي كان يتصف به كل روادها بدأ ببوذا فقد كان يودع الذي سيكون طريقهم نحو الدعاية للبوذية بقوله: "اذهبوا و انشروا النظام في البلاد رحمة سائر الخلق[4]"، وبالرغم من القيم النبيلة التي حملتها البوذية ومن السيطرة على العواطف والعقول في الهند إلا أنها بدأت تضعف مع مرور الوقت سبب اهتمامها بإصلاح الباطن الأخلاقي، كما أن عدم وجود معابد خاصة بالبوذية، كانت من أسباب ضعف الديانة خاصة بعد موت بوذا حيث كان أتباعها يلجئون إلى معابد الهندوس وبهذا أخذت الهندوسية تمتصهم تدريجيا وتجرهم إليها يوم بعد يوم.

د: **الحضارة الصينية** هي بلا شك من أهم وأعرق الحضارات التي عرفها الإنسان، على مر التاريخ فقد بلغت الصين هذه المكانة الفكرية بفضل فلسفات إنسانية كانت لها بالغ الأثر في الفكر الديني فسادت النزعة الإنسانية وارتبطت به منذ بداية الوعي الفلسفي لديه فهذه النزعة عند الصينيين تميزت بتركيزها على وحدة الإنسان والتكامل بينه وبين الطبيعة واعتباره الوسيلة لتحقيق المطلقية في الكون.

فالبحث عن فكرة التسامح في الحضارة الصينية يؤذي بنا إلى البحث في الفلسفة الصينية "الكونفوشيوسية"* بالضرورة فهي:" مذهب يتسم بنزعة اجتماعية دنيوية قد ناضلت من أجل بلوغ أكبر قدر

1 جان ماري ريزاس ، **موسوعة الأديان في العالم (الديانات القديمة)** ، المرجع السابق ،ص 186.
2 المرجع نفسه ، ص ص 181 و186 .
3 المرجع نفسه، ص 197.
4 المرجع نفسه، ص 214.
* **الكونفشيوسية :** هي مدرسة فلسفية صينية أسسها الكونفوشيوس (confucius) هو الترجمة اللاتينية لمجموعة الأحرف الصينية كونغ فو – تسو التي تعني المبجل المعلم كونغ – كان ينحدر من أسرة "كونغ" واسمه الكامل :هو "كونغ كيو تسو تشونغ" – ني المعروف كونغ فو تسو) ولد عام 551 ق- م في شانغ بينغ في الإقليم الذي يعرف حاليا باسم "سو" ومات في

ممكن من العدالة الاجتماعية وعن إمكانية تحقيقها في مجتمع إقطاعي بيوقراطي ومن أجل الوصول إلى هدفها هذا دخلت في صراع وعدوان بين الملوك والعلماء القدامى للصين[1]". وهي كذلك: "نزعة تؤمن بفكرة التجانس بين المختلفين "فالكونفوشيوسيون" يرون أن الأشياء المتضادة والمختلفة تكمل بعضها البعض، مما يخلق وضعا متجانسا، فلا تستبعد "الكونفوشيوسية" قدرة الآراء المختلفة على الوصول إلى الحقيقة، لأن من بين أهم خصائص الفلسفة الصينية التأكيد على التكامل، فالآراء المتناقضة تشكل كلاً واحدا[2]".

ومن بين أهم القيم التي تساعدنا على تحقيق تعايش سلمي بين الحضارات هي قيم الاعتدال والمحبة واحترام المبادئ، "فالكونفوشيوسية" تدعو كما دعت البوذية من قبل إلى التعايش لأن الكون هو عبارة أسرة واحدة كبيرة، ويعتبر "كونفوشيوس" أول فيلسوف يطرح سؤال عن طبيعة الإنسان والبحث فيها فإجابته عليه جاءت بسيطة لكنها تحمل دلالات عميقة وهي :

"إن الناس سواسية خيريين بطبعهم ولكنهم كلما شبوا اختلف واحد منهم عن الأخر تدريجيا وفق ما يكتسبون من عادات وأن الطبيعة البشرية مستقيمة وإذا ما افتقد الإنسان هذه الاستقامة فقد معها السعادة[1]"، لان الطبع الخير يولد مع الإنسان بالفطرة وهو موجود عندنا جميعا، لكن هذا الطبع يختلف كلما كبر الإنسان بسبب العادات والتقاليد وهذا يبين لنا الأخلاق، كما جاء بها "أبيقور"* في مذهبه في الأخلاق التي تتغير من مجتمع لآخر ومن شخص إلى آخر مع مرور الوقت.

كما نجد "كونفوشيوس" قد تكلم كثير عن "بينBien" أي الطبيعة الإنسانية للإنسان (الإنسانية)،" وهو لفظ يتضمن في طباعة المبدأ الأخلاقي الأسمى الذي ينبغي أن يحكم سلوك الإنسان في علاقته مع

نفس المكان سنة 479 ق- م.وهو أول من أقام نسق حقيقي عن الإنسان ابتسم بنزعة إنسانية اجتماعية دنيوية ،تداخل من أجل بلوغ أكبر قدر ممكن العدالة الاجتماعية .(جورج طرابيشي، **معجم الفلاسفة**، المرجع السابق ، ص 551) .

[1] جوزيف نيدهام: **تاريخ العلم والحضارة في الصين**، تر: محمد غريب جودة، (الهيئة المصرية العامة للكتاب 1995.) ص 135.

[2] جون كولر، **الفكر الشرقي القديم**، المرجع السابق، ص 317.

* **أبيقور:** فيلسوف يوناني ولد "ساموس" سنة 341 (ق م)، وتوفي في أثينا حوالي سنة (270 ق م) ،كان من أبرز شخصيات العصور القديمة ومن أقوى مفكريها، أنشأ الحديقة سنة (306 ق م) تتلمذ على يد "نورزيفاريس" تلميذ ديموقوريس وذلك هو أصل المذهب الذري نجده في الأبيقورية والذي لم يكن له من مع ذلك في ذهن أبيقور غير أن يكون ركيزة مادية للنفس والإنسانية وحتى لروحانية مذهبه.(جورج طرابيشي، **معجم الفلاسفة** ، المرجع السابق، ص40).

الآخرين، فمصطلح " بين" معناه أن تحب الإنسان وأراد به "كونفوشيوس" أكثر من أن تحب كل الناس فيقول توضيحه وشرحه "للبين" أن على الإنسان ألا يصنع مع الآخرين ما لا يحب أن يضعوه معه[1]".

فالبين هو حب الآخرين أو حب الآخرين للناس كافة وهو حب متبادل بين الإنسان وأخيه الإنسان، وهو حب الخير لكافة البشر، "فكونفشيوس" أول فيلسوف استخدم مصطلح الخير باعتباره مقولة فلسفية وجعله جزء مهم من فكرة ومن نظريته الأخلاقية بالرغم من وجوده منذ القدم وهو يدل على الحب الأخوة أو البر ويشمل الإنسان والآخرين[2]"، وتحقيقه حسب "كونفوشيوس" ليس عملا صعبا لأنه ينبع من الذات الإنسانية فهو يتحقق بمجرد رغبة الإنسان في تحقيقه،ويحتاج إليه الإنسان أكثر مما يحتاج إلى الماء والنار فهو ضروري للحياة.

ومنه فالفلسفة "الكونفوشيوسية"، فلسفة دعت إلى السلام والحب ونشر قيم الخير والتسامح داخل الإمبراطورية الصينية، ونقدت كل الشر أو الظلم واعتبرته خارج نطاق الإنسانية، فطبيعة الإنسان تفرض عليه التعامل مع غيره بحب وتعايش.

حيث أن الخير والمحبة جعلتهم الكونفوشيوسكية من تعاليمها الأساسية، فهي ترى أن:" الاعتداءات المتبادلة بين دولة وأخرى والاغتصاب المتبادل بين عائلة وأخرى والسرقات المتبادلة بين رجل وأخيه أو افتقار الملك للرفق والوزير إلى الولاء...، هذه أمور ضارة للإمبراطورية وكل هذا راجع إلى انعدام الحب المتبادل، ولو تحققت هذه الفضيلة لما انتشر العنف والقتال ولا أحب أحدهم الأخر ولا اتصف الحكماء والوزراء بالسماحة والولاء[3]"، فالتحلي بالمحبة والسماحة هي الوسيلة لإيقاف الحروب ونشر السلام بين الأفراد والمجتمعات حسب بوذا، كما أن التحلي يبهما قانون أخلاقي وجب التحلي به لتكتمل صفة الإنسانية فينا.

---

[1] هـ ج كريل، **الفكر الصين من كنفوشيوس إلى ماوتس تونج**، تر: عبد الحميد سليم، مراجعة: على أدهم (الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1998) ص 83.

[2] خه جاو ووتانغ يويوات وأخرون،**تاريخ تطور الفكر الصيني**، تر: عبد العزيز حمدي عبد العزيز ،(المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،ط1، 2004) ،ص 54.

[3] أحمد شلبي، **مقارنة الأديان (اليهودية)** (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،ط8، 1988.) ص79

المبحث الثالث : فكرة التسامح في الفلسفة اليونانية:

المحبة، الفضيلة،الخير، العدالة، قيم أخلاقية درستها الفلسفية اليونانية، فقد دلت هذه القيم على النزعة الإنسانية لدى الإنسان منذ القديم، والبحث عن التسامح والتعايش عند فلاسفة اليونان سيؤدي بنا إلى دراستها والبحث فيها، عند رواد الحكمة اليونانية.

- **سقراط:** درس سقراط* الفضائل وقدس المعرفة وربطها بالخير، واعتبر أن "الخير هو الفضيلة والفضيلة هي المعرفة"[1]، والمعرفة هي الوسيلة لبلوغ الخير بينما الجهل وسيلة لبلوغ الشر، حيث أنه لا يمكن للإنسان أن يعرف الخير ثم يتركه أو يعرف الشر ثم يفعله، ولكي يعمل الإنسان بالفضيلة تكفيه معرفتها، ففعل الخير من عدل وتسامح وعفو....، هي أفعال تصدر من الإنسان وتتبع من معرفته بالفضيلة أو بما قد تسبب من أذى للآخرين، حيث نجد أن سقراط يقول "من عرف كان خيراً ومن جهل كان شريراً"[2].

ومنه فهو يبرر القسوة والظلم بين الناس بالجهل والمحبة والألفة والعدالة بالمعرفة (العلم) . فالإنسان الخير هو الإنسان العالم وتقاس نسبة الخيرية و الشرية بمقياس المعرفة، فكلما ازدادت الخير عنده والعكس، فسقراط أعاد إحياء مُثل الحقيقة والأخلاق في أثينا بعدما انهارت هذه المثل في المجتمع معتمدا على منهج "التهكم والتوليد"، فقد عارض النظام الأثيني ونقده وجذب إليه عقول الشباب بطريقته السلسلة في نقل الأفكار و التلاعب بالكلمات، هذا ما جعل المجلس الأثيني يتهمه بإفساد عقول الشباب.

فقد نقد سقراط النظام الديمقراطي في أثينا، وكان يهجم ويقدح هذا النظام كلما أتيحت له الفرصة، فهو يرى أنه بالنسبة للدولة أي شيء سيكون أشد سخرية فيها من هذه الديمقراطية التي تقودها العاطفة، وبما أن منهجه كما قلنا هو التهكم والتوليد وإدعاء الجهل، فقد كان يعالج كل قضية بداية بسؤال يطرحه على تلاميذه ، "ففي معالجته بمسالة الديمقراطية و ارتباطها بالأخلاق في الدولة طرح سؤالا هو:

---

*__سقراط :__ فيلسوف يوناني ولد حوالي (470ق.م) في أثينا وكان أبوه "سوفسرونس" و أمه "فينايريت"، درس سقراط فلسفة "أرخيلاروس" و "ديو جانس"، وكان المبدأ الرئيسي في فلسفة سقراط هو البحث عن المعرفة ، هو يرى أن المعرفة لا يمكن أن تقوم على أساس صحيح إلا بعد دراسة طرق الوصول إليها ، ثم إن الأخلاق نفسها لا يمكن أن تقوم إذا لم تسبق بالعلم ،لأن الفضيلة لا تقوم إلا بالعلم .(عبد الرحمان بدوى، __موسوعة الفلسفة__،ج1، مؤسسة العربية للدارسات و النشر، ط1، 1981)ص578.

[1] نقلا عن : محمد رشاد عبد العزيز وهمين، __مع مسيرة الفكر الإنساني في العصر القديم__، (مطبعة الفجر الجديد، ط198،ط1)، ص89.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ما هو السبيل إلى إيجاد قيم أخلاقية جديدة في أثينا، وكيف يمكن إنقاذ الدولة ؟[1]".

إن الإجابة عن هذه الأسئلة و البحث فيها هي التي أدت بحكومة أثينا إلى الحكم عليه بالموت بتهمة الفساد الخلقي، لكنهم كانوا مستعدين لتبرئته إذا حاول استعادة الدين القديم الذي يؤمن بتعدد الآلهة، بدعوته الشباب المتحرر من الخرافات و الأساطير إلى المعابد و الحدائق المقدسة بما أنه كان يتحكم في عقول الشباب الأثيني فأفكاره كانت بمثابة قواعد يسرون عليها، في ذلك الوقت

لكن سقراط رفض هذا و كان له إيمانه الخاص حيث اعتقد أن ما تدعو له الحكومة الأثينية من دعوة الشباب وتقديم الأضاحي للآلهة هو سياسة انتحارية وتراجع ولا يمد للتقدم بصلة.

رفض سقراط معرضه على شيوخ أثينا فهو يؤمن بإله واحد وآمن باعتدال، بأن الموت سوف لن يقضي عليه تماما، فقد فضل سقراط الموت على الهرب، لأنه رأى أنه بموته سوف يدعم مبادئه وأنه لن يحصل على موت أفضل من هذه الطريقة، فقد قال لأصدقائه في أخر لحظة : "افرحوا وقولوا أنكم تواروا في التراب جسدي فقط[2]"؛ فقد كان يؤمن بخلود النفس.

كما أدرك سقراط وجود شريعة أبدية لا يمكن أن تقوم على دين ضعيف، كالدين الذي آمنت به أثينا في ذلك الوقت، فالأخلاق موجودة في الإنسان قبل الدين، وهي فطرية فيه، إذا تزود بالمعرفة فبإمكانه إقامة نظام أخلاقي دون الحاجة إلى الدين، فهو موجود عند الملحد الذي لا يؤمن بوجود الله هو موجود أيضا عند القسيس الذي يؤمن بوجود الله، فباستطاعة الإنسان أن ينشئ نظام أخلاقي مستقل تماما عن المبادئ الدينية، ويطبق هذا النظام على الملحد والقسيس على سواء، وعندئذ تأتي الديانة وتذهب دون تحل الأساس الأخلاقي الذي يجعل من الأفراد مواطنين مسالمين في المجتمع.

بقي سقراط يدافع عن أرائه ولم يستسلم حتى أخر لحظات حياته، من نشر مذهبه يرد عليهم، عندما يعرضون عليه الكف عن هذا مقابل تبرئته، "كلا مادام ضميري هذا الصوت الهادئ الصغير في قلبي يأمرني بأن أسير وأعلم الناس طريق العقل الصحيح فأنا سأواصل تعليم الناس وأصرح لهم بما في عقلي بدون اعتبار للنتائج[3]".

---

[1]- ول ديوازانت، **قصة الفلسفة** ، تر: فتح الله محمد المشعشع، (منشورات مكتبة المعارف، بيروت، ط6، 1988 م) ص 13.

[2] المرجع نفسه، ص 17.

[3]سلامة موسى ، **حرية الفكر وأبطالها في التاريخ**.(دار اوارة الهلال، مصر، د ط، د ت)، ص23.

" ليس على الأرض إنسان له الحق في أن يملي على الله ما يحب أن يؤمن به، يحرمه من حق التفكير كما يهوى"[1].

وقال أيضا:" ما دام الإنسان على وفاق مع ضميره فإنه يستطيع أن يستغني عن المال وعن رضا أصدقائه وعن العائلة...؛ ولكن بما أنه لا يمكن لأي إنسان أن يصل إلى نتائج صحيحة بدون أن يفحص المسائل، ما لها وما عليها فحصا تاما فإنه يجب أن يترك الناس أحرار لهم الحرية التامة في مناقشة جميع المسائل بدون أن تتدخل الحكومة في مناقشتهم"[2].

فقد وجه هذا الطرح الأخير إلى الحكومة ليوصل لها فكرة أن باستطاعة الإنسان أن يعيش بدون النظام الديني والسياسي، فيجب أن يترك حر، ولا يحتاج إلى توجيه من طرف الأخريين لأنه يوجد له نظام داخلي يسيره وهو الأخلاق والضمير، فظل سقراط مع هذا العناد والتشبث بموقفه حتى حكم عليه بالإعدام، بتجرع السم– فرفض أن يهرب من السجن بالرغم من الإلحاح الشديد من طرف تلميذه، وتوفر الفرص في العديد من المرات – فربما أدرك في سن السبعين أن وقت نهايته قد حان وأن هذه أفضل وأشرف طريقة يستحقها للموت.

تعامل مع السَجان بألطف طريقة قد يتعامل بها إنسان في الكون في وجه شخص يحمل كأس السم ويطلب منك تجرعه؛ فقال سقراط:" أقبل تحيتك الطيبة وسأفعل ما طلبت" فأتجه نحو تلاميذه وقال: يا له من رجل ساحر ولطيف، مند أن جئت لهذا السجن وهو يحضر دائما لرؤيتي والآن تشاهدون كبير حزنه علي ولكن يجب أن نفعل بما يقول[3]، فتجرع سقراط السم دون أي مقاومة وسقط أول شهيد لحقوق الإنسان – كما قيل عنه– وقد مثل أفضل مثال للتسامح والمحبة في أثينا، وقد فارق الحياة الدنيا وهو مؤمن بأن نفسه خالدة وبأن هذا مقدر له من ربه عظيم، فقد رحل بابتهاج حتى آخر لحظة وتسامح وتحاور مع الناس مهما كانوا فأكبر عدوا كان يمكن أن يكون له هو السجان لكنه مدحه وعامله بكل محبة.

[1] سلامة موسى، **حرية الفكر وأبطالها عبر التاريخ**، المرجع السابق، ص 23.

[2] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[3] نقلا عن: ول ديورانت، **قصة الفلسفة**، المرجع السابق، ص 17.

أفلاطون*:

يتلذذ الرجل المعتدل من حياة الاعتدال، بينما المسرف يتألم منها وأساس التربية الصحيحة كما يرى أفلاطون هي أن يغتبط المرء بالفضيلة ويتألم من الرذيلة، فالعلم والفضيلة هما اللذان يوصلان الإنسان إلى الخير والسعادة، وهو أيضا السبيل للتخلص من العبودية والتخلف والتبعية... فقد حرر الإنسان وجعله سيدا للطبيعة، فاكتشافه للطبيعة وقوانينها تدفعه إلى التطور والمضي قدما وتؤمن له الكمال والسلام والمحبة، وإضافة إلى العلم والمعرفة فإن الفضيلة كذلك، من وسائل تحقيق الخير للإنسانية فمزجها بالمعرفة كما فعل أستاذه "سقراط"، حيث تكمل الفضيلة في معرفة هذا الخير أي في التشبه بالله (الخير مرادف لله عند أفلاطون)، هذا التشبه الذي سوف يؤدي إلى تنظيم قوى النفس عند الإنسان.

حيث يرى أنه يجب على كل قوة من قوى النفس عند الإنسان أن تخضع للقوة التي أعلى منها درجة، فالقوة الشهوانية يجب أن تخضع للقوة الغضبية والغضبية يجب أن تخضع لقوة العاقلة، حيث قسم القوى في النفس وربطها بالفضائل، فالنفس العاقلة فضيلتها الحكمة والغضبية فضيلتها الشجاعة، والعفة فضيلة النفس الشهوانية، وتتم هذه الفضائل بفضل فضيلة رابطة تنظمها وهي العدالة (الاعتدال).[1].

ففعل الخير مرتبط بهذه الفضائل ومدى استطاعة الإنسان على ضبطها في فضيلة واحدة وهي العدالة، وكذلك مرتبط بالعلم والمعرفة فنجد هناك حقائق أخلاقية طبيعية لو يعرفها الإنسان فإنها تمثل المانع له من ارتكاب أي فعل شرير، وبرر أفلاطون السلوك الشرير بالجهل كما فعل أيضا سقراط.

أما الدولة فقد قسمها أفلاطون ثلاث طبقات وربطها بأقسام النفس وفضائها فالنفس الغضبية تقابلها طبقة المحاربون والنفس العاقلة تقابلها طبقة الحكام والنفس الشهوانية تقابلها طبقة الفلاحين والعمال[2].

وتتحقق العدالة داخل الدولة – كما ذكرنا سابقا– بخضوع هذه القوى (الطبقات) بعضها لبعض، فالسياسة عند أفلاطون هي تطبيق الأخلاق فهي مسرح لعرض القيم الأخلاقية من خلال السلوك السياسي

---

* **أفلاطون:** أعظم فيلسوف في العصور القديمة وربما في الأزمنة غابطة، ولد نحو عام (427 ق م)، من أسرة أرستقراطية أثينية فأبوه أرسطو كان من أحفاد "كودروس"، آخر ملوك أثينا، أخد مبادئ الفلسفة من أقراطيس وصار تلميذ لسقراط، وقام برحالات عديدة نحو مصر وايطاليا الجنوبية، وعاد إلى أثينا في عمر الأربعين وأسس مدرسة التي تحمل اسم الأكاديمية، استمرت في تدريس الفلسفة على مدى تسع قرون(09م) متتالية.ألف الكثير من الكتب وكانت على شكل محاولات وضع فيها مذهبه الفلسفي. (جورج طرابيشي، **المعجم الفلسفي**، المرجع السابق، ص81).

[1] محمد رشاد عبد العزيز وهمين، **تاريخ مسيرة الفكر الإنساني القديم**، المرجع السابق، ص 103.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المتبع في الدولة لأن لهما نفس الغاية وهي تحقيق الفضيلة والسعادة والوصول إلى الرقي فهما يكملان بعضهما حسبه ، أما الذي يحول بالإنسان دون تحقيق هذه الغاية الأخلاقية والسياسية ، هو تركيزه على العالم الحسي وابتعاده عن العالم المثالي، لأن السعادة مكانها عالم المثل.

كما جاء أفلاطون "بالديالكتيك""* وهو محادثة بين اثنين وهذا يعني أن الكائن الأنطولوجي القائم بذاته لذاته... اعتبر أن الآخر هو مسار له [2]"، فهو يرى أنه أتى ليجعل التفاعل بين مختلف فئات الشعب قائما على الحوار المطلوب والمناقشات الأساسية؛ فهو طريقة تواصل وحوار خلق مع الإنسان ليميزه عن غيره من الكائنات وليتعايش به مع بني جنسه ويتواصل.

فالحوار والجدل (الديالكتيك) الأفلاطوني فإن دل على شيء، فإنما يدل على التعايش والتسامح والاعتراف بالآخر، داخل المجتمع اليوناني، واعتبار وجود الآخرين ضرورة من ضرورات حياتي فيجب عندها التعامل معهم بألفة ومحبة،" أما تحقيق الخير في العالم، فهو مرتبط بالعالم المثالي** قد فرق أفلاطون بين عالم حسي*** نعيش ، وعالم مثالي كان فيه سابقا ، قبل مجيئنا إلى هذه الحياة، وهو يحتقر العالم الحسي ويرى أنه لا يحقق الخير، ويدعو إلى العالم الأخر المثالي – الذي خلقه الله، والذي يجب على الإنسان التشبه به – لأنه هو الخير وهو مصدر الصلاح والحقيقة وهو غاية كل شيء؛ وهو العقل

---

* **الديالكتيك(الجدل):** عرف قديما بفن المحاورة والمساجلة، أما حديثا فهو فن التحاور بمقاسات بأسئلة وأجوبة

و الديالكتيك يدل عند أفلاطون على التميز الحق بين أنواع والأجناس التفسير الصحيح للأشياء بالأفكار، ويرى أن عليه هو الانتقال من مفاهيم إلى مفاهيم، من قضايا وصولا إلى الكليات الأعم والمبادئ الأولى التي ترتدي في نظره قيمة وجودية. (أند ريه لالاند ، **موسوعة لالاند الفلسفية**،المرجع السابق، ص 274).

[2] ريمون غوش، **الفلسفة السياسية في العهد السقراطي**، دار الساقي ، بيروت ، ط1 ،2008.، ص 39.

** **العالم المثالي (عالم المثل):** جملة الحقائق المقابلة للمظاهر الحسية، كما ينفاد التأمل العقلاني إلى تمثلها تعبير شديد التداول،اعتبار من العصر الأفلاطوني الجديد للدل على عالم الجواهر، عالم الأفكار ، المثل) " تعرف الأشياء الجسمانية بأفكارها ،أي في الله، لأنه لا يوجد سوى الله، حافظ العالم العقلي حيث توجد المثل الأشياء كلها".(اندريه لالاند **موسوعة لالاند الفلسفية**، المرجع السابق، ص830).

*** **العالم الحسي:** جملة الأشياء الكائنة أو الممكن أن تكون موضوع إدراك كما يمثلها الفرد قبل أي نقذ علمي أو فلسفي.

الأسمى "اللوغوس"* فالله هو العالم المثالي وما العالم الحسي إلا صورة غير كاملة عنه، وهو روحه وهو الفاعل صانع المادة فيه ومحركها، وهو مكان السعادة والمحبة[1]".

فأفلاطون يرى أن الفضيلة والسعادة لا ينفصلان وهما تتحققان بالمعرفة الطبيعية للأخلاق، وأنه من أجل الوصول إليهما يجب المحافظة على النظام داخل المجتمع، ويجب كذلك التحلي بصفة العفو وتحمل الظلم ولا يجب مقابلة هذا الظلم بظلم آخر، وهذه ما دل على فكرة التسامح والعفو في عالم أفلاطون الحسي.

- **الرواقية:**

نادت "الرواقية"* كبقية التيارات الفلسفية اليونانية بالفضيلة والأخلاق، وهي من أشدها تأثيرا بالفلسفات الشرقية أسسها "زينون الرواقي"**، ويوجد للمدرسة الرواقية فرعين: رواقية يونانية ورواقية رومانية.

إن غاية الفلسفة عند الرواقيين هي أن تطبقها علميا، أي أن تكون فلسفة عملية وهو نفس موقف أصحاب المذهب البراغماتي في الفلسفة المعاصرة.

فهم ينظرون إلى الفلسفة بأنها أخلاق وكلاهما تعني أن يتصرف الإنسان وفقا لقوانين العقل والهدف الذي يجب أن تسعى إلى تحقيقه الفلسفة هو وضع قوانين لتنظيم السلوك الإنساني الخير.

---

*__اللوغوس:__ يقصد به الكلمة الإلهية لكن معانيها اختلفت: "فاللوغوس" عند هرقليطس(وهو أول من قال به) هو القانون الإلهي وأخذ بهذا الرأي الرواقيون، فقالوا أن العقل أو اللوغوس(مرادف للعقل عندهم) هو المبدأ الفعال في العالم وهو الله، ثم جاء "فيليون" اليهودي فقال عن "اللوغوس" أنه القوى الصادرة عن الله وأنه محل الصور، وهو المبدأ الأول لكل الأشياء وهو الوسيط بين الله والناس. (عبد الرحمان بدوي، __موسوعة الفلسفة__ ،ص 371).

[1] محمد رشاد عبد العزيز وهمين، __تاريخ مسيرة الفكر الإنساني القديم__، المرجع السابق، ص98

*__الرواقية :__ إحدى المدارس الفلسفية اليونانية الكبرى في العصر الهليني ، وسميت كذلك نسبة إلى الرواق الذي كان يعلم فيه مؤسسها زينون الكتيومي (الملقب بزينون الرواقي) والرواقية صورة من صور مذهب وحدة الوجود تعد الجوهر نارا لطيفة هي في آن واحد قوة ومادة ،واشتهرت خاصة بأرائها الأخلاقية التي تقوم على أن الخير لأسمى مجهود لا يخضع إلا للعقل لا يبالي بالظروف الخارجية من صحة أو مرض من غنى أو فقر(إبراهيم مدكور، __المعجم فلسفي__، المرجع السابق، ص 93).

** __زينون الرواقي:__ فيلسوف من أصل سوري (الساحل الفينقي)، كتب باليونانية ، مؤسس المدرسة الرواقية ولد في كتيوم (قطين) في قبرص نحو (336 ق م) ومات في أثينا نحو (364 ق م) درس زينون مؤلفات تلاميذه سقراط قدم إلى أثينا في تجارة لكنه عزم على نذر نفسه للفلسفة بعد لقاءه سنة 314 ق،م بأقراطس الكلبي، لكن أكثر زينون هي الفلسفة ا"لديموقريطس" فقد درس الفلسفة عشرين عام ثم قرر عرض مذهب الشخص، وقد جمع في بادئ الأمر بعض التلاميذ من كان يتحاور معهم يوميا على مدى ثلاثين سنة أخذ تعليمه يتكون رويدا رويدا من خلال كتاباته ومناقشاته لتتولد من في نهاية المطاف المدرسة الرواقية (جورج طرابيشي، __معجم الفلاسفة__ ، المرجع السابق، ص 347).

و"أقسام الفلسفة حسب الرواقيين هي أقسام الفضيلة، وكل فرع من فروعها هو جزء منها[1]". فالفضيلة هي الحكمة ومن يسعى إلى الوصول إلى الفضيلة، يجب أن يصل إلى الحكمة كذلك وفي هذه النقطة لم يختلف الرواقيون عن سقراط وأفلاطون يجمعهم بين الحكمة والفضيلة.

أما ما يميز الفلسفة الرواقية في المجال الأخلاقي هو نظرتها الكونية للأخلاق، فالرواقي كان يرى نفسه مواطنا للعالم أجمع، أي أنه يشعر بانتمائه إلى كل مكان فيه؛ فقد تجاوزت الفلسفة الرواقية الأفلاطونية القائمة على التقسيم الطبقي للإنسان داخل المجتمع إلى نظرة أكثر إنسانية وهي مرتبطة بنظريتها العالمية للإنسان،" فالكون عندهم هو أسرة واحدة، كما ميزوا بين النزعة الكونية والنزعة العالمية، ولم يجدوا حرجا في أن يتصف الإنسان بالنزعة القومية الوطنية، والنزعة العالمية في نفس الوقت[2]"، فيمكن أن يكون انتماءه إلى أثينا وفي نفسه إلى دولة أخرى من العالم، فهو مواطن للعالم ككل.

- **أرسطو:**

الإنسان حسب "أرسطو"* حيوان اجتماعي بالطبع فهو لا يستطيع العيش في معزل عن الجماعة ، وهو مدني الطبع، يعيش في مدينة تفرض عليه التحلي بالأخلاق، يستطيع التعايش والتحاور مع سكانها، والعيش في سلام وألفة ومحبة معهم، فغاية الحياة عند أرسطو هي الخير الأعظم الذي يسعى الإنسان إلى تحقيقه بتنظيم علاقة بالآخرين داخل المدينة بنظام الأخلاق.

فالدولة (المدينة) تقوم على الأخلاق عند أرسطو كما هي عند أفلاطون فهو يرى أن واجب الدولة، هو التمييز بين العدل والظلم ، بين الحق والباطل وأن يكون من شأنها أن تحافظ على القيم العليا، وأن تمنع القيم الدنيا أن تظهر أو تتغلب على حياة الناس داخلها.

"استخدم أرسطو في السياسة فكرة الوسط الذهبي، حيث يرى أن أفضل دولة هي الدولة الدستورية وهو نظام حكم بين "الديمقراطية"** و"الأرستقراطية"*** فسوف يتوفر في دولتنا ديمقراطية كافية، إذا كان

---

[1] عبد الرحمان بدوي، **خريف الفكر اليوناني**، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط6، 1979)، ص 10.

[2] المرجع نفسه، ص 49

* **أرسطو :** أعظم فيلسوف جامع لكل فروع المعرفة الإنسانية في تاريخ البشرية كلها وهو واضع علم المنطق كله تقريبا، ومن هنا لقب أرسطو بالمعلم الأول وصاحب المنطق.ولد "أرسطوطاليس" في سنة (384 ق م) بمدينة أسطاجيرا، وهي مستعمرة أيونية على الشاطئ الشرقي، أبوه "نيقوماخوس" من جماعة الإستعلاليين وكان طبيبا خاص للملك مقدونيا، قدم أرسطو إلى أثينا في الثامن عشر أي في سنة (366 ق م) ودخل الأكاديمية (الأكاديمية التي كان يدرس فيها أفلاطون) توفي سنة (322 ق م) وترك العديد من المؤلفات المتنوعة وهي تنقسم إلى نوعين كتب منشورة يقصد بها إلى عامة الناس وكتب مستورة يقصد دبها إلى خاصة التلاميذ والمختصين كفيها. (عبد الرحمان بدوي، **موسوعة الفلسفة**، المرجع السابق، ص98).

** **الديمقراطية:** كلمة يونانية ومعناها سيادة الشعب بإرادة الشعب لمصالح الشعب بلا تميز بين فئاته وأفراده وتقابلها الأرستقراطية.(محمد جواد مغنية ، **مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات** ، المرجع السابق، ص207).

طريق الكل منصب في الدولة مفتوح أمام الجميع، وأرستقراطية كافية إذا أغلقت أبواب المناصب ولم تفتح إلا للمتعلمين الذين قضوا مرحلة طويلة في التعليم[1]".

كما استخدم أيضا فكرة الوسط بين الطرفين في الأخلاق، حيث يرى أن الفضيلة وسط بين طرفين وكلاهما يعتبر رذيلة،" ففضيلة الشجاعة وسط بين رذيلة الجبن ورذيلة التهور، وفضيلة العدل وسط بين رذيلة الظلم و اللا ظلم والكرم وسط بين الإسراف والتقتير...، فالفضيلة مران على عمل الخير، فكلما تعود الإنسان على ترك الرذائل والاتجاه نحو عمل الخير كلما اتسم بالفضيلة حتى تصبح من ضمن أخلاقه[2]"، ونجد ان اكتسابها متوقف على ممارسة العمل الصالح، وضبط النفس وتناسق الرغبات وفن الاعتدال فهي إذن نتيجة خبرة الإنسان المتطور تطورا كبيرا، وهي فن يمكن اكتسابه كما قلنا بالمران والعادة.

"أما أنبل الأمور التي تساعد الإنسان عن بلوغ السعادة، التي تعتبر كذلك غاية البشرية هي الصداقة لأنها ضرورية للإنسان السعيد أكثر من التعيس، فالسعادة تزداد وتتضاعف إذا تمت مشاركتها مع الآخرين، وهي أكثر أهمية من العدالة حيث لا تصبح للعدالة أهمية عندما يكون الناس أصدقاء[3]".

ونجد أن انتقاد أرسطو للدساتير الوضعية التي تعطي مناصب الحكم لأصحاب الثروات في الدولة؛ فأفضل حكم يجب أن تحكم به الدولة هو الذي يؤمن تأمين بلوغ غاية الدولة، وغاية الدولة حسب أرسطو، هي الاكتفاء الذاتي والعيش الفاضل الرغيد للأفراد والجماعات.

*** **الأرستقراطية :** كلمة يونانية وهي ضد الديمقراطية لأنها حكومة طبقة معينة ومحدودة تستولي على السلطة عن طريق الوراثة ونحوها.(المرجع نفسه، ص 189 ،190.)

[1] ول ديورانت، **قصة الفلسفة** ، المرجع السابق، ص 105.

[2] محمد رشاد عبد العزيز وهمين، **تاريخ مسيرة الفكر الإنساني القديم** ، المرجع السابق ،ص 113.

[3] ول ديورانت، **قصة الفلسفة**، المرجع السابق، ص 79.

" أما السياسة المثلى، فهي أفضل حكم سياسي لا في حد ذاته بل على وجه الإطلاق ، ولكن بالنسبة إلى دولة معينة[1]"، نظام الحكم الصالح عند أرسطو والذي يبلغ الفرد حياة سعيدة رغيدة آمنة، وهو الذي يحقق غاية الدولة، وهذا بالنسبة إلى دولة معينة، فيمكن للنظام السياسي أن يصلح في دولة ولا يصلح في دولة أخرى فصلاحيته مرتبطة بمدى تحقيقه لغايات الدولة والأفراد داخل بلد معين.

1 أرسطو، **أرسطو في السياسة (مجموعة الروائع الإنسانية)**، تر: اوغسطين بربراه البوشي، (اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت، ط3، 1980)، ص 358.

الفصل الثاني

التسامح في الفلسفة المسيحية وفي الفلسفة الغربية الحديثة

المبحث الأول : التسامح في الفلسفة المسيحية

المبحث الثاني : التسامح في الفلسفة الغربية الحديثة

المبحث الثالث : التسامح في فلسفة الأنوار

الفصل الثاني :

المبحث الأول : التسامح في الفلسفة المسيحية

جاءت نصوص الإنجيل داعية للمحبة والسلام بين الناس وناهية عن الظلم والاحتقار منها:

– سمعتم أنه قيل :العين بالعين والسن بالسن أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشرير، من لطمك على خدك الأيمن فأعرض له الأخر، ومن أراد أن يحاكمك ليأخذ ثوبك، فأترك له رداءك أيضا، ومن سخرك أن تسير معه ميلا واحدا فسر معه ميلين،ومن سألك فأعطه، ومن استقراضك فلا تعرض عنه.[1]

– سمعتم أنه قيل : "أحب قريبك وابغض عدوك" أما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم وادعوا لمضطهديكم فتكونوا بني أبيكم الذي في السماوات،[2] فإن تغفروا للناس زلاتهم يغفر لكم أبوكم السماوي وإن لم تغفروا للناس لا يغفر لكم أبوكم زلاتكم.[3]

وتبين الرسائل والكتابات التي تنسب إلى العصر المسيحي الأول، أن الحياة المسيحية كانت في تلك الفترة تهتم بأربع صفات أساسية في الإنسان وهي: الإيمان والمحبة والوداعة والنقاوة الشخصية فنجد: أن الإيمان بالله وثقته به في كل الأمور هو الفضيلة الأولى التي تنبع منها كل الفضائل وهي التي تميز الإنسان المسيحي، وينتج عن هذا الإيمان فضيلة المحبة وتعني في فكر المسيحيين الأوائل، اهتمام جاء غير أناني لصالح القريب، يعبر عنه بالتضحية والمساعدة،أما عن اتجاههما، فقد أوصى المسيح –كما ذكرنا آنفا– بمحبة الأعداء، وقد كانت هناك أوقات صلى فيها المسيحيون فعلا من أجل من كانوا يضطهدونهم، كما أن المجتمع المسيحي في ذلك الوقت لم يكن يخلوا من المواقف التي تبين هذه الفضيلة فيما بينهم، فقد كانوا يهتمون بالأيتام والمرضى والفقراء، وقد اعترف لهم الرومانيون بهذا رغم احتقارهم لهم، فقد كانوا يكررون عبارة "أنظروا كيف يحب المسيحيون بعضهم بعضا"[4].

ففضيلة المحبة كانت توجد عند المسيحيين فيما بينهم، لكنها تكاد تنعدم بين المسيحيين وغيرهم من الجماعات الغير مسيحية، كما ساد في المجتمع المسيحي فضيلة التواضع والوداعة فقد كان المسيحي يتميز بين إخوانه وفي العالم بأنه لا يريد الإساءة ويتجنب النزاع ويتمثل في السيد المسيح في وداعته وخدمته.

وغالبا لم يجد المسيحيون صعوبة في الاحتفاظ بالسلام في دوائرهم الخاصة، وإذا حدثت منازعة فيما بينهم فإن الأساقفة يتسارعون إلى حلها والدعوة إلى السلام، فقد كان لفضيلة الوداعة والتواضع الأثر الكبير في تكوين أخلاقيات الطاعة كقيمة هامة في الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى، أما فضيلة النقاوة الشخصية، فقد وضع لها آباء الكنيسة شروطا كثيرة لتنظيم العلاقات الجنسية ووسائل التسلية

---

[1]- متى : 5/38– 42 .

[2]– متى : 5/ 43–45.

[3]– متى : 6 / 14–15 .

[4] - فايز فارس، **الأخلاق المسيحية**، (دار الثقافة، القاهرة، ط1992،1)، ص21.

والمرح والملابس...(كل ما يتعلق بمظاهر الحياة)، لأنهم يرون أن الانطماس في الشهوات الحسية دراكات تؤذي إلى طريق الموت.

ومنه فإن المسيحيين لم يكونوا يؤمنوا بهذه الصفات" الإيمان، الوداعة، المحبة، النقاوة" لكن كانوا يمارسونها ويتحلون بها لأنهم يرون فيها الطريق أو الوسيلة إلى طاعة الرب.

أ) **القديس اوغسطين:**

من نماذج الفكر الأخلاقي في العصر الكنسي الأول "القديس أوغسطين (saint.Augustin) (354:-430م [*])"، الذي كان له بالغ الأثر في الفكر الكنسي في الشرق والغرب، يقر أوغسطين بوجود الحرية والإرادة الإنسانية، ويرى أن أخص خصائص الإنسان هو أنه كائن حر، وأنه إذا لم تكن الإرادة التي بها أريد ملكا لي فلست أدري ما الذي أستطيع أن أقول عنه أنه ملكي.[1] أي أن الحرية والإرادة هي أكثر الأشياء التي امتلكها في هذه الحياة، فنجد في مدح الناس لبعضهم البعض ولو مهم على سوء سلوكهم، وتبجيلة لحسنه، تأكيد على وجود هذه الحرية الإنسانية فهي التي تبرر وتتحكم في هذه التصرفات اتجاه بعضهم.

كما يوجد في الإنسان وعي وشعور يميزه عن باقي الكائنات، فهو يشعر بميله نحو تحقيق القانون الطبيعي العام لأن الإرادة البشرية مرغمة على أن[1] تسير وفقه ولا تتخطاه بحكم طبيعتها.

فالحرية حسب أوغسطين تكمن في إتباع هذا القانون العام لأن فيه خير للإنسان أما الاعتراض عليه ففي شر له،لأنه خاضع للإرادة الإلهية وحرية مجبولة تحت هذه الإرادة،الإنسان الخير هو الذي يخضع للإرادة الإلهية بحريته أما الشرير فيخضع لها مرغما شأنه في ذلك شأن الأمة التي تطيع سيدها دون أن تكون راغبة في أعماقها في طاعته.

[*] **القديس أوغسطين:** من أشهر آباء الكنيسة اللاتينية ولد في طاجيستا (سوق أهراس) بنوميديا كان أبوه وثنيا وأمه نصرانية، درس في مسقط رأسه ثم رحل إلى ما دورا ليدرس في مدرسة البيان والبلاغة ودرس الحكمة الوثنية والمذهب المسيحي لم يقبل الإيمان المفروض الغير مبني على العقل، وبحث في مسألة الشر كما رحل إلى روما ودرس الخطابة، ودرس أفلاطون طبيعة الشر والماهية الإلهية (جورج طرابيشي، **معجم الفلاسفة**، المرجع السابق ص ص 117،119).

[1] – كامل محمد عويصة، **الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى**، (، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، 1993م) ص 59.

ومنه فإن الخير والشر مرتبط بمدى مطابقة أو مخالفة القانون الإلهي، "الخير هو الذي يطبق النظام الإلهي والشر هو من يخالفه".[1]

وهنا نلاحظ تأثر أوغسطين بالفلسفة الرواقية في فكرة "أن طاعة القانون فضيلة تستحق الثواب ، ومخالفته رذيلة تستحق العقاب، ومنه فان الحرية الإنسانية تابعة لله الذي هو وحده المطلق، وبما انه يختلف في طبيعته عن الإنسان، فان أفعال الإنسان ليست مطلقة، وهي خاضعة للقانون الإلهي، وحريتها تكمن في تطبيق هذا القانون، فما تتمتع به من حرية مرهون بالقانون الإلهي المطلق، وفي حال تجاوزنا له يعتبر فعلنا شرير لان الله خير في ذاته ، فإنه لا يوجه مخلوقاته إلا للخير، فقد خلقنا مزودين بالعقل الذي بواسطته نستطيع التمييز بين الخير والشر ، كما منحنا المحبة نميل بها إلى الخير ونمقت الشر، ومنه فان الإنسان عند أوغسطين حر، ومادام حر فانه أخلاقي ، لأننا لا نستطيع التحدث عن الأخلاق في غياب الحرية.

إن الله حسب أوغسطين ؛ هو الحقيقة الأبدية الخالدة وهو السعادة...، أن تكون سعيدا معناها أن تمتلك المعرفة الأبدية، ومنه تمتلك الله ويمتلكك، ويحدث هذا عن طريق المحبة، ومنه فان سعادة الإنسان تكمن في المحبة والقانون الإلهي هو نفسه القانون الأخلاقي، وبما أن القانون الإلهي مطلق وثابت فيجب على القانون الأخلاقي الإنساني أن يكون هكذا.

هنا يظهر تأثر أوغسطين بالأفلاطونية المحدثة، في "فكرة التعالي عن الزمان والمكان"، في القانون الأخلاقي بارتباطه بالقانون الإلهي[2]، والذي ينبغي أن يكون قانونا أخلاقيا عالميا يخاطب المرء في باطنه وليس في ظاهره؛ حوانيته لا برانيته ن وينبغي أن يخاطب القلب المحب الممتلئ بالمحبة الإلهية[3]، فبقدر ما يكون الإنسان حريصا على تطبيق الأمر الإلهي، والابتعاد عن نواهيه، بقدر ما يكون أخلاقيا، لان القانون الإلهي يعتبر مقياس لأخلاق البشر.

توما الاكويني Thomas aquinas:

استطاع "توما الإكويني"(1225-1274م)* أن يبهر العقول بتحليله الفذ لفلسفة أرسطو، التي ترتكز على التفكير العقلي، فقام الإكويني بالملائمة بين الفلسفة الأرسطية واللاهوت المسيحي والأخلاق المسيحية[1]،

---

[1] كامل محمد عويصة، **الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى**، المرجع السابق ، ص60.

[2] المرجع نفسه ، ص63

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها..

* **توما الاكويني:** فيلسوف لاهوتي من أصل ايطالي، كتب باللاتينية ، لقب بالمعلم الجامع للكنيسة وبالمعلم الملائكي ، اشتغل في التدريس الجامعي للاهوت ، درس في مدارس نابولي ، انتسب إلى رهبانية الإخوة الوعاظ رغم معارضة أهله الشديدة ، أرسله رؤساءه إلى دير القديس يعقوب بباريس اكبر مركز عقلي للرهبانية آنذاك، ودرس فيه على يد القديس البرتوس بتأسيسه مركز جديد للدراسة ، ثم عاد إلى باريس ، وقد دعي ليحضر مجمع ليون بصفته لاهوتيا سنة 1274م ولكنه مات

فقد استخدم منهج أرسطو، وهو المعرفة والغاية والسببية، لكي يبرهن على وجود الله، لأنه اعتقد بوجود معرفة عامة يمكن للإنسان أن يعرف بها الله، واستطاع من استنتاجاته العقلية وبصيرته في فهم الشخصية الإنسانية، أن يصف هذا الإله بأنه عادل ورحيم، وفي هذه الصفات يختلف عن الإنسان الذي يتصف بصفات محدودة ونسبية، بينما صفات الله ثابتة ومطلقة.

- **الناموس:** يعتقد توما الاكويني أن الناموس مبدآ خارجي، به يوجه الله نحو أهدافهم، وبذلك يساعدهم على أن يحققوا ما هو خير لهم ن ومادام العقل هو الذي يوجه الكائن إلى هدفه، لذلك فالناموس من إنتاج العقل[2]، وعقل الله هو الناموس الأبدي الذي تتبع منه كل القوانين، وهو أصل النظام في الكون، أما الناموس الطبيعي الخاص بالإنسان فانه يأتي بعد الناموس الإلهي الأبدي، وهو ناموس لا يمكن تطبيقه بنفس الشكل، نظرا لاختلاف المواقف الإنسانية وهو المعيار الذي نحكم به على عدالة القوانين الوضعية التي توضع لتحكم الناس وتنظم علاقاتهم، والناموس الإلهي يتكون من الناموس القديم، والناموس الجديد ن القديم كان قبل مجيء المسيح، وهو ناموس صالح لأنه ينهي عن الخطيئة.

أما الناموس الجديد فقد أعطى السيد المسيح من خلاله ما وعد الناموس القديم، وقام بشرح الوصايا التي جاءت فيه، وأعطاها معناها الحقيقي، فجعل النهي عن القتل والزنا مثلا يمتد إلى المشاعر الداخلية كالغضب والشهوة، كما نهى عن مقاومة الشر تماما، وهنا يؤكد توما الاكويني استمرارية الناموس القديم مع الناموس الجديد، لان كليهما يهدفان إلى نفس الغرض وهو "الحياة الأبدية [3]"، ومنه فان توما الاكويني اعتبر أن وجود هذه النواميس ضروري لزرع القيم الأخلاقية في نفوس المسيحيين، فهي تمثل قانونا رادعا لهم من ممارسة الرذائل والشرور ومقوي لروح الإيمان فيهم.

درس الاكويني الأفعال الإنسانية من ناحية خيرتها وشريتها، حسنها وقبحيها، والثوابت المترتبة عنها والعقاب، ففي الخلاصة اللاهوتية نجده يقول:«أن جميع الأفعال الإنسانية حسنة وليست شيء منها قبيحا، فقد قال يونيسوس*: الشر لا يفعل إلا بقوة الخير ن فقوة الخير لا تفعل الشر ، فإذن ليس شئ من الأفعال قبيحا»[1]

في الطريق، ومن جملة مؤلفاته نذكر: الخلاصة في الرد على الأمم، والخلاصة اللاهوتية، الشروح على أرسطو، وكتاب الملل، جورج طرابيشي، **المعجم الفلسفي**، المرجع السابق ،ص 241 .

[1] كامل محمد عويضة، **الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى** ، المرجع السابق ، ص42.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه ، ص48.

* **ديونيسوس:** يخفي هذا الاسم المستعار شخصية غامضة لا تزال تخفي هويتها الحقيقية ، كتب بين 482 و 430 ق م ، بموهبة أصلية وقوية ، مباحث وسائل سيسجلها العصر الوسيط تسجيلا يكاد يعادل تبجيله للكتاب المقدس ، ومن أشهر هذه الرسائل في الأسماء الإلهية ، عدها الاكويني جديرة بالشرح و المدونة الديونسية ، يضم مجموعتين من المصنفات :

إذن نقول انه لا يعقل شيء من حيث هو قبيح بل يفعل من حيث هو حسن ؛ أي أن الإنسان عندما يقوم بفعل معين حتى ولو كان هذا الفعل قبيحا ، فهو يظهر له أثناء القيام به انه حسن.

فجميع الأفعال حسنة وليس شيء منها قبيحا ، فصفة القبيح فيها عرضا وليس علة ، يقول دونيسوس:«لكل فعل معلوم بالذات ، فإذ ليس شيء من الأفعال قبيحا بل كلها حسنة»[2].

الهرم السماوي والهرم الأرضي ، وقد أكمل خلاصة لاهوته قبل الاكويني ن وعد دينوسوس أن العالم سيؤسس وفق نظام قدسي يتعين فيه مكان كل مخلوق ملائكي وبشري وما دون البشر ن إلى الأزل بدرجة الكمال ، ويرى ان التاريخ هو حركة مد و جزر ، وهو ذهاب وإياب من الله والى الله . جورج طربيشي ، **معجم الفلاسفة** ، مرجع سابق ، ص311.

[1]– توما الاكويني ، **الخلاصة اللاهوتية** ، تر: بولس عواد ، (د ط ؛ بيروت: المطبعة الأدبية ، 1891)، ص 363.

[2]– المرجع نفسه ، ن ص

المبحث الثاني :التسامح في الفلسفة الغربية الحديثة

لقد غلب على الفلسفة الحديثة الطابع العلمي ، حيث كان معظم الفلاسفة المحدثين ذات نزعة تجريبية في تفكيرهم و اتجاهاتهم ،فقد تحرروا من سلطة الكنيسة فلم يعد الدين يتدخل في فكر الفيلسوف ليحد من حريته ، وبذلك تكون الفلسفة في العصر الحديث قد تحررت من سلطة الكنيسة ،ولم تعد خادمة للدين فالفيلسوف الحديث يختلف عن المفكر في العصر الوسيط فقد توجه بفلسفته إلى الواقع و إلى الأشياء الخارجية ،كما حاول تنظيم المعارف العلمية و جعلها تتفق مع حياته .

تبدأ الفلسفة الحديثة من بداية عصر النهضة في القرن الخامس عشر و تنتهي بموت هيغل1830، ويعتبر روني ديكارت أول فيلسوف محدث، لأنه أول من وضع للتفكير الفلسفي منهجا يقوده ويوجهه ويتمثل في كتابه "مقالة عن المنهج، وهو صاحب أول نسق فلسفي متكامل حديث يضم نظرية في المعرفة والأخلاق والميتافيزيقا، ...

وقد اظهر الفكر الفلسفي الحديث ازدهارا نتيجة لعدة عوامل، فظهرت حركة واسعة لإحياء الآداب اليونانية و اللاتينية، حيث كانت هذه الآداب ترتكز على الإنسانيات، مما أدى إلي تميز الفكر الفلسفي الحديث بنزعة إنسانية قوية، ومن بين العوامل أيضا، حركة الإصلاح الديني، وهي حركة ظهرت بهدف تجديد الدين المسيحي و التخلص من سيطرة الكنيسة الكاثوليكية ، تزعمها مارتن لوثر martin luther [2]*** وجون كالفن jean Calvin ****

*** **مارتن لوثر**: هو مصلح ديني ألماني ومؤسس البروتستانتية، ولد في ايسليبن lhysleben سنة1483م ومات في هذه المدينة نفسها سنة1546م، تلقى تعليمه في ماغدبورغ Mogdbourg

و إيزناخ ، نال شهادة البكالوريوس في الأدب من جامعة إرفورت سنة 1502م ، ثم شهادة الفنون الحرة سنة1505م، كما درس القانون، فبعد أن سار لوثر في هذه الوجهة الجديدة بوقت قليل نذر أن يدخل الدير تحت وقع الرعب الذي انتابه في أثناء عاصفة كاد أن يهلك فيها ،بعد حصوله على درجة البكالوريا في الكتاب المقدس سنة 1509م عين مدرسا للاهوت، حصل على كرسي الكتاب المقدس في جامعة فيتبرغ الناشئة سنة 1512م، وكتب أيضا السلطة الزمنية وحدود الطاعة الواجبة لها ، الذي وضع فيه حجر الزاوية في نظرية الدولة وغيرها من الكتابات[2].

**** **جون كالفن(1509-1564):**
ولد سنة 1509م في نوا يون بفرنسا ، ومات في جنيف سنة 1564م ، أراد أهله أن يدخل السلك الكهنوتي حيث أرسلوه لما بلغ من العمر الرابعة عشر(14م) من العمر إلى باريس للدراسة نشر أول مؤلفاته وهو عبارة عن شرح لكتاب **سنيكا في التسامح** ، كما بدا كالفن أيضا في دراسة اليونانية بمساعدة صديقه ملشوت ولمار melchior wolmar ، وربما دراسته لليونانية هي التي جعلته يرى زيف تأويلات الكنيسة ، في حين أيقظت فيه دراسة القانون روح التحرر من ظلم الكنيس:جورج طربيشي ، **معجم الفلاسفة** ، مرجع سابق ص ص (510، 508)

فقد أعطت هذه الحركة الحرية للإنسان في أن يفهم الكتاب المقدس بمفرده ، فكانت بهذا من بين عوامل نضوج النزعة الإنسانية و الاستغلال الفكري، يسمى هوبز * Thomas Hobbesالدولة بالتنين الكبير ،لأنها تبتلع في جوفها كل الأفراد الذين تنمحي شخصيتهم وإراداتهم أمام شخصيتها وإرادتها[1]،فهي كل شي، فلا دين إلا ما ترضاه الحكومة ، ولا حقيقة إلا ما ينادي بها السلطان، فقيم أعمال الإنسان فيها فهي تقاس بالقانون الذي يفرضه الملك، فالدين والأخلاق هما من صنع الدولة وهي الوحيدة التي لها الحق في الإشراف عليهما،فقد نادي بالسلطة المطلقة للحاكم ، فالدولة الحديثة حسب هوبز دولة قائمة بالتراضي، أي بالعقد بين بين مجموعة من الأفراد حول إعطاء السلطة لفرد واحد أو لمجلس واحد يقوم مقام هذا الفرد في تسيير شؤونه في المجتمع وتقرير ما يناسبه ووضع قوانين لتحكمه وتملى عليه واجباته فيها و تضمن له حقوقه .

يري هوبز أن الناس قبل مرحلة الدولة السياسية كانوا في حالة صراع و حرب مستمرة وفي حالة خوف دائم من أن يهاجم بعضهم بعضا، وهي المرحلة الطبيعية ، وبما أنهم يرغبون بصورة طبيعية في السلام والأمن و الهروب من البؤس والفزع من حالتهم الطبيعية هاته ، فدفعتهم هذه الرغبة إلى تأسيس دولة تقوم على رضا متبادل بين أفرادها[2].

فسيرة حياة الإنسان كما ذكرنا، كانت قائمة على غريزة حب البقاء، وكانت هذه الغريزة للحياة الإنسانية كالحركة بالنسبة للطبيعة، ومن الخطأ الاعتقاد بغريزة اجتماعية تحمل الإنسان على الاجتماع و التعاون، وإنما أصل أو حال الطبيعة أن الإنسان ذئب لأخيه الإنسان، وأن الكل في حرب ضد الكل[33]،فلا تخلو حياة البشر من العداء والتوحش الصراع، وما نتخذه من تدابير الحيطة وأساليب العدوان، وما نراه من في علاقات الدول مع بعضها البعض هو حجب بستار الأدب و تبديل العنف المادي بعنف معنوي، وهو النميمة و الافتراء و الانتقام في حدود القانون،إضافة إلى الميل الغريزي للعنف الموجود في الإنسان الذي يشبه فيه الحيوان، إلا أنه يمتلك ملكة تميزه عن غيره من الكائنات هي العقل ،الذي يجعله يبحث عن وسائل الحفاظ على البقاء بطريقة سلمية، حيث يسعي إلى التعايش والحفاظ على السلم بينه وبين بني جنسه ، وإن لم ينجح في هذا وقبل بالضد، فإنه في هذه الحالة يلجأ يضطر إلى الحرب من اجل الرد على مهاجميه والرد على أذيتهم؛ ولهذا جاءت السلطة السياسية كحل للنزاع بين أفراد المجتمع.

---

* **توماس هوبز:(1588-1679):**
فيلسوف إنجليزي ،كان ابنا لقس، تردد على المدارس في مسقط رأسه، ودرس في أكسفورد، درس اليونانية بعناد وكان صديقا لفرانسيس بيكون، ألف كتاب : مبادئ القانون الطبيعي والسياسي ، لكنه نشره في رسالتين منفصلتين هما :وكان من بين المؤسسيين لنظرية العقد الاجتماعي .(جورج طرابيشي، **معجم الفلاسفة** ،ص709).

[1] جورج زيناتي، **رحلات داخل الفلسفة الغربية** ،(دار المنتخب العربي، بيرون، ط1،1999)، ص 144

[2] وليم كلي رأيت، **تاريخ الفلسفة الحديثة** ، ت:محمود سيد أحمد ،(دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1،2011)، ص88

[3] يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الحديث،** (دار المعارف، القاهرة، ط1، ب ،ت)،ص55.

" لكي يتمتع الإنسان بالسلم ، يجب عليه أن يتنازل عن حقه المطلق للسلطة المركزية ،أو الهيئة العامة ، وبهذا تحل السلطة السياسية محل الحياة الطبيعية ، وهو تعاقد يعزم وجود الصدق والأمان والعرفان و التسامح والإنصاف، والشراكة فيما يتعذر اقتسامه[1]" .

ومنه فإن القانون الخلقي الطبيعي هو إرادة الله الذي وهبنا العقل المستقيم، فلا يكفي طاعة القواعد ظاهرا، بل يجب أيضا طاعتها لذاتها و التشبع بها و الاتجاه نحو الشيء في ذاته ،فعل الخير من أجل الخير ، وليس من أجل مصلحة معينة.

كما أن نجد أن العقد الذي يبرمه الأشخاص داخل الدولة، صحيح أنه يضمن للإنسان شئ من حقوقه، لكن إذا نظرنا للأمر من ناحية أخرى وقلنا انه يجب على الإنسان أن يحصل على حقه في كل شيء، فسوف يحدث هنا تصادم في الحقوق و تضارب في المصالح، وبالتالي نكون رغم هذا القانون مازلنا في حالة حرب و صراع، أي أن الحال هنا لا يختلف عن الحالة الطبيعية الآلي، وبهذا يتعرقل سلام الجنس البشري الذي وضعت القوانين السياسية من أجل تحقيقه ، فنقول أ ن القانون الطبيعي يستطيع أن يحقق العدالة للإنسان من حيث أنه يوفر له الحق في كل شئ ، فأي تصرف يصدر منه في هاته الحالة اتجاه الأخريين، لا يكون ظلم لهم لأنه لي الحق في هذا كما هو لك فنحن في القانون الطبيعي متساوون بتساوي الطبيعة الإنسانية أما في حالة إبرام العقد و الخضوع للقانون السياسي (وهذا الخضوع هو الوفاء بالعهد الذي يقطعه الإنسان أنتاء إبرامه للعقد وهو "أني أسلم أمري للحاكم") فإن عدم خضوعي له (أي عدم وفائي بالعهد الذي قطعته) والحصول علي حق لم يقرره لي هذا القانون خير.

يقول هوبز:"في قانون الطبيعة هذا يكمن منبع العدالة و أصلها، فحين لا يكون هناك عهد سابق لا يكون قد تم تفويض أي حق ، ويكون لكل إنسان حق في كل شيء، وبالتالي لا يمكن أن يكون أي فعل ظلما ، أما من حين يبرم العهد فإن كل كسره يكون ظلما ، وما تعريف الظلم سوى عدم إنجاز العهد ،وبالتالي فإن كل ما ليس ظلم هو عدل [2]".

ونجد "هوبز" يدين إلي هذا الليفيتان أو الدولة بالسلام و الأمن، لأنها تجعل منا بسبب قوتها وقوة قانونها نتأقلم في سبيل السلم في داخلها (فنحن هنا نخاف من العقاب، فلا نعتدي على الأخريين بسبب خوفنا من السجن مثلا)والتعاون حيال الأعداء في الخارج، فأشعر أن هناك من يقف معي، في حالة تعرضنا إلي حرب أو هجوم من دولة أخرى، فهناك من تجمعني به نفس المصلحة وهي بقاء هذا الليفيتان أمنا، الذي تخلينا له عن حقوقنا بالطريقة عينها، ونظرنا له بالطريقة عينها أيضا."إنه نوع من

1 وليم كلى رايت، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، المرجع السابق، ص56

2 توماس هوبز، **الليفيتان (الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة)**، تر:ديانا حبيب حرب و بشرى صعب،(هيئة أبو ظبي للثقافة و التراث، أبو ظبي، ط1،2011)، ص151

وحدة الجميع الفعلية في شخص واحد، قائمة بموجب اتفاقية كل فرد مع كل فرد، كما لو كان كل فرد يقول للأخر: إنني أخول هذا الرجل أو هذه المجموعة من الرجال، وأتخلى له أو أتخلى لها عن حقي في أن يحكمني أو تحكمني، شرط أن تتخلي له أو تتخلي لها أنت عن حقك، ونجيز أفعاله أ نجيز لها أفعالها ، بالطريقة عينها[1]".

أما الدولة وبارتباطها بالدين، أو بالمسيحية كما يراها هوبز، فإن قوانينها تكون مرتبطة بالكلام المنزل الذي يفوق الطبيعة (الوحي أو النصوص الدينية)، فهو صادر عن إرادة الله الذي أودع فينا العقل والحواس لكي نستخدمهما لتحقيق العدالة والسلام، والوصول إلي الدين الحقيقي إلى قيم الخير والشر، والتفريق بهما بين أفعالنا الخيرة الشريرة، فما نفعله من أخطاء فهو ناتج سوء تقديرنا و سوء استخدمنا لمنطق هذا العقل ومنطق هذه الحواس، فالسلطة في الدولة المسيحية التي يرأسها الرسل وهم يحامون صفة المعلمين وليس الحكام، ويهدفون إلي الإرشاد ونشر تعاليم الدين أكثر من السلطة .

جون لوك:JOHN LOCKE(1632-1704):

جون لوك* أحد مؤسسي مذهب الحرية الجديد، عارض هوبز في تصويره للإنسان كقوة غاشمة، كما عارضه في تصوره لحال الطبيعة، حال يسود فيها البقاء للأقوى، حيث يذهب لوك إلى أن حقوق الإنسان مطلقة لا يخلقها المجتمع، وأن حال الطبيعة تقوم على الحرية، فالعلاقة بينهما هي علاقة كائن حر بكائن أخر حر أيضا،وهذا يؤدى إلى المساواة.

فالإنسان يتمتع بالحرية الشخصية، وهذه الحرية تقوم حسب لوك على أنه "لا يوجد سيادة طبيعية لشخص على أخر، أي أنه لا يوجد إنسان ولد وهو سيد على إنسان أخر، أي أننا متساوون في الطبيعة والحرية لا يملك أحدنا سلطة على الأخر إلا سلطة الآباء على الأبناء، التي تعتبر واجب طبيعي أكثر منه سلطة وهي سلطة مؤقتة أعطيت لهم لكي يقوموا بتربية أبناءهم ويجعلوا منهم أناسا، أي كائنات حرة، وهي سلطة لا تشبه سلطة السيد على العبد[2]"، أما السلطة السياسية فهي تراضى مشترك وعقد إرادي،

---

1 توماس هوبز، **الليفيتان (الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة) ،** المرجع السابق، ص180

* **جون لوك(1632-1704):** فيلسوف انجليزي، ولد في "برستول"، من أسرة طهرانية من الطبقة الوسطى، التحق بجامعة أكسفورد عام(1625)، درس الآداب والفلسفة في بادئ الأمر، ثم الطب، أصبح عضوا في جمعية لندن الملكية في(1668)، وعمل منصب وزير، أتاح له هذا التمرس بالشؤون السياسية والاقتصادية لبلاده، تميز لوك على الدوام بالتسامح والتحفظ، وكان يجيد الجدال والسجال عندما كان يضطر للدفاع عن نفسه ضد التهجمات التي كانت أعماله تجلبها، تميز بغزارة التأليف من أهمها مؤلفاته: محاولة الفهم البشرى، رسالة في التسامح... .(جورج طرابيشي،**معجم الفلاسفة**، المرجع السابق، ص ص 598-599).

2 يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، المرجع السابق، ص 151.

ذلك لأن أعضاء المجتمع متساوون عقلا وحرية، وأساس الإجماع الحرية، و الغرض من هذا العقد بينهم هو حماية حقوقهم الطبيعية.

وبالرغم من هذا نجد الناس داخل المجتمع في صراع دائم بين بعضهم البعض، سواء كانوا ينتمون إلى نفس السلطة أو نفس المعتقد الديني، وهذا راجع إلى تدخل السلطة الدينية في شؤون السلطة المدنية داخل الدولة، يقول لوك:« أنا أعتقد ا ناي إنسان يتصور ا ن أي إنسان مهيأ لإنزال العذاب بإنسان حر بدعوى أنه ينشد خلاص نفسه، فإن مثل هذا الإنسان يبدوا غريبا عني وعن أي شخص أخر، ومن المؤكد أنه ليوجد إنسان يعتقد إن مثل هذا الفعل يصدر عن المحبة أو إرادة الخير».[1]

كما يرى "لوك"، انه ومن اجل ليفرض احد على نفسه او على غيره اي شيء تحت دعوى الولاء والطاعة للأمير، او الإخلاص والوفاء في عبادة الله؛ «أقول أنه من أجل هذا كله ينبغي التمييز بدقة ووضوح بين مهام الحكم المدني وبين الدين، وتأسيس الحدود الفاصلة والعادلة بينهما، و إذا لم نفعل هذا فلن تكون هناك نهاية للخلافات التي تنشأ على الدوام بين من يملكون الاهتمام بصالح نفوس البشر، من جهة ومن يهتمون بصالح الدولة من جهة أخرى»[2] ؛ فلابد إذن من التمييز بين وضيفة الحكومة المدنية، وبين وضيفة السلطة الدينية، واعتبار الحدود بينهما ثابتة فنجاة روح كل إنسان أمر مرتبط بذاته، ولا يمكن لأي سلطة سياسية كانت أو دينية إن تحقق له هذا لأن الحاكم المدني ليس مفوضا من الله لخلاص نفوس البشر، وأن الله لم يكلف أي إنسان بتخليص روح إنسان أخر.

ويبرر لوك تصرفات الإنسان الحسنة والسيئة، "بأنها تصدر بدافع اللذة التي هي الخير والألم الذي هو الشر، ومقياس هذا السلوك من حيث النقص أو الكمال هو مقدار مطابقته للقانون الأخلاقي، الذي يفرض نفسه على عقولنا فرضا، وقواعد هذا القانون الأخلاقي ليست من وضع السلطة السياسية، وإنما مقررة بإرادة من الله؛ ولكنها ليست فطرية في العقل الإنساني[3]".

إذن؛ فمصدرها المعرفة البرهانية المطلقة ، كمعرفتنا لله تعالى، فلا يوجد للناس معرفة فطرية بالأشياء، ولكن يوجد لهم قلقا فطريا ورغبة في أن يختاروا اللذة ويجتنبوا الألم في حياتهم،أما أساس الأخلاق فهو التجربة والعقل والوحي.

ومنه فان جون لوك يقر بوجود حرية، وحق طبيعي للإنسان، ويتجليان في حرية الاعتقاد وفي السلطة المطلقة للحكم في أمور الدين، وينبغي عليه من أجل العيش في سلام داخل المجتمع ولكي يستطيع الحصول على حقوقه وحرياته أن يتحلى بالتسامح مع المسيحيين ومع غيرهم من المعتقدات الأخرى على

1جون لوك، **رسالة في التسامح**، تر: منى أبو سنة، (المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1998،1)، ص23

2 المرجع نفسه، ص23

3 زكي نجيب محمود، **قصة الفلسفة الحديثة**،(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د ط، 1936)، ص218.

السواء، يقول لوك:« ليس من حق أي شخص بأي حال من الأحوال، أن يحقد على شخص أخر في شأن المتعة الدينية لا لسبب إلا لأنه ينتمي إلى كنيسة أخرى أو يؤمن بدين أخر ، فكل الحقوق والامتيازات التي تخص هذا الشخص من حيث هو مواطن من اللازم أن تكون محفوظة له دون أن تنتهك ، ذلك أن هذه الحقوق والامتيازات لا علاقة لها بالدين، ومن ثمة يجب إلا يلحق هذا الشخص أي عنف أو ضرر سواء كان مسيحيا أو وثنيا»[1].

ولكن من جهة أخرى فان لوك يستثني من هذا التسامح الفرق أو المذاهب الدينية التي تدين بالولاء لأمير أجنبي، كالولاء الذي كان الكاثوليك في انجلترا يدينون به إلى البابا والملك في فرنسا، فهو رفض التسامح هنا ليس لأسباب دينية بحثه و إنما لأسباب سياسية محضة، ويرى كذلك أنه لا ينبغي للحاكم إن يتسامح مع الآراء التي تتنافى مع المجتمع الإنساني أو مع القواعد الأخلاقية الضرورية للمحافظة على المجتمع المدني ومع الملحدين، لأنه لا أمان لمن لا يؤمن بالله.

فالدولة والكنيسة ليستا مكلفتان بالاحتفاظ بأي شخص و إخضاعه لقانونها وإقناعه بمعتقداتها، ولكنها ليست مستعدة لأن تتسامح مع الكاثوليك الملحدين نظرا للخطر الذي يجلبه ولاء الكاثوليك لإنجلترا بسبب ولائها لملك فرنسا.

من خلال أفكار كلا من لوك و هوبز نلاحظ أن العقل الأوربي بدأ يخرج من ظلمات العصر الوسيط، ومن ذلك التعصب الذي تسبب في خسائر وحروب في تاريخ الغرب المسيحي،حيث أصبح المجتمع المسيحي يعيش في جو يسوده التسامح بين مختلف الطوائف، وتم الفصل نهائيا بين كل ما هو ديني على ما هو سياسي، حيث انه ما إن حل القرن الثامن عشر (َ18م) حتى صار الغرب زاخرا بالكتابات التي تدافع عن الرأي الداعي إلى التسامح، إزاء الاختلافات الدينية، وإلى الفصل بين الكنيسة والدولة، وأصبح الفرد يقرر بنفسه أمور إيمانه الديني.

1 جون لوك ، **رسالة في التسامح** ، المرجع السابق ، ص 32 .

المبحث الثالث : التسامح في فلسفة الأنوار

التنوير اتجاه ثقافي ساد أوروبا بداية من القرن الثامن عشر، وهو يقرن بالتاريخ الفكري والاجتماعي لكل من إنجلترا وفرنسا وألمانيا إسبانيا و إيطاليا؛ أطلق عليه الفرنسيين "عصر الإيضاح"، أما الألمان فأطلقوا عليه "العصر الذي تعود إليه جميع الحركات الاجتماعية و الفلسفية ..." .

" يعتبر التنوير وعلى مر الزمان و بالمعنى العريض تعبيرا عن فكرة التقدم ،وهدفه تحرير الإنسان من الخوف وجعله سيدا، أما الأرض التي تنورت كليا، فهي أرض تشع بشكل يوحي با لانتصار، كان برنامج التنوير يهدف لفك السحر عن العالم ، وقد أراد أن من الأساطير و أن يحمل للمخيلة سند العلم" [1]

يعتبر "إيمانويل كانط" من أهم رواد التنوير في العصر الحديث ، فقد نشر في أوخر القرن الثامن عشر مقالة، ماهر التنوير؟ ،في مجلة برلين الشهرية، جاء فيها :

"التنوير هو تحرر الفرد من الوصاية جبلها لنفسه ؛ والوصاية هي عدم قدرة الفرد على استخدام فهمه الخاص دون توجيه من الأخر؛ والسبب في جلب الوصاية ليس القصور العقلي و إنما السبب هو عدم الإقدام و الشجاعة دون توجيه من الأخر[2]"فشعار التنوير عند كانط هو:" تشع لتعلم، فل تكن لديك الشجاعة لاستخدام عقلك"[3].

فالذي وقف بين الإنسان و بين استخدام عقله هو إيمانه بفكرة : لأحتاج لأن أفكر مادمت أستطيع دفع الثمن فسيقوم الآخرين بهذه المهمة الشاقة بدلا عنى، وما علينا سوى الدفع لهم مقابل هذا،وهذا متسبب في قصور العقل؛"عندي كاتب يفكر بدلا عني ،وقسيس يؤنبه ضميره بدلا مني، وطبيب يقرر تغذيتي ..." [4]؛ فالتنوير لا يتطلب إلا الحرية، وابسط ما يمكن أن نسميه حرية هو أن يكون الفرد حرا لاستخدام عقله الخاص علنيا في كل الأمور، لكن "كانط" يري انه لا يوجد في هذا العالم إلا من يدعوك إلى طاعة الأوامر وعدم المجادلة والمناقشة في الموضوع ؛" الضابط يقول لا تجادل نفذ، وجامع الضرائب يقول لا تجادل ادفع،والقسيس يقل لا تجادل آمن..[5]

ومنه فإن التنوير يتطلب شجاعة و جرأة من الإنسان في استخدام عقله دون توجيه من إنسان أخر، كما يتطلب الحرية، أي حرية الإنسان في استخدام عقله .

---

[1]- نقلا عن : ماكس هور كهايمر و ثيو دورف ادورنو، **جدل التنوير** ، تر: جورج كتورة ،(دار الكتاب الجديد ألمانيا ،ط1 ،2006)،ص23 .

[2]– كانط ،**ما هو التنوير ؟** ، تر: حسين إسماعيل .

[3] نقلاعن : كانط ،المرجع نفسه ، ص2

[4]المرجع نفسه ،الصفحة نفسها .

[5]المرجع نفسه ،الصفحة نفسها .

كما نجد أن البعض يري بأن الإرهاصات الأولي للتنوير تعود إلى :...كتابات فرنسيس بيكون* و أهمها كتابه المنهج الجديد(نوفوم أورغانوم) ،وإلى كتابات توماس هوبز بماديتها الصارمة ، وإلى عقلانية رنييه ديكارت،وإلى حلولية باروخ سبينوزا* BAROKH SBINOZA الواحدية المادية ، وإلي إمبريقية جون لوك، وإلي رؤية إسحاق انيوتن** NEWTONالألية للكون، وإلى أفكار ليبنيتز[1]"***LEBNIZ، ويمكن تقسيم عصر الأنوار إلى ثلاثة أجيال من الفلاسفة :الجيل الأول يضم أعمال فولتير ومونتسكيو ****MONTESQUE، والجيل الثاني يضم ديدرو*****DIDEROTأما الجيل الثالث فيرتبط بالفترة الحديثة و يضم وكانط .

فنجد أن أفكار عصر النهضة قد مهدت لهذه الحركة التنويرية ،حيث كان لعصر التنوير مثله كعصر النهضة، فترة متشابكة تصادمت فيها الاتجاهات المتعارضة تعارضا حادا، كالتعارض بين الملحدين

---

*__فرنسيس بيكون (1561- 1626)__:
ولد في لندن ،وضع دائرة معارف واسعة ،بنيت على أساس الملاحظة التجريبية والمنهج الإستقرائي ،ورمت في الاخير إلى وضع الطبيعة في خدمة الإنسان ،عارض المعرفة السكولائية للعصر الوسيط ،أخذ حبه الفطري للمعرفة من والدته المثقفة ،درس المحاماة وإشتغل فيها عدة سنوات ، ألف العديد من المؤلفات أهمها الأورغانون الجديد و التجديد الأكبر ،مقدمات للتاريخ الطبيعي و التجريبي .....(جورج طرابيشي ،مرجع سابق الذكر ،ص ص 226،227).

*__باروخ سبينوزا (1632-1677)__ : ولد في مستر دام ،وتوفي في لاهي ،لم تعرف حياته أحداث كثيرة بل قضاها كلها في الدرس والتأمل ،ينحدر من أسرة يهودية برتغالية ،كان زعيما للجالية اليهودية في اوروبا ،اشتغل في التجارة ،قرأ ديكارت ،لكنه تغذي فكريا بكتابات النصوص العبرية ، اتهم بالإلحاد بسبب مؤلفه رسالة في الاهوت والسياسة ، ورسالة في الأخلاق .(جورج طرابيشي ،مرجع سابق الذكر ،ص ص 359 ، 360) .

**- __إسحاق نيوتن (1642-1727)__ : ولد في ولستروب ومات في كنسنفتون ، كان هواه الوحيد الرسم وصناعة الدمى الآلية ،اضطر للعمل بنفسه منذ الصغر نظر للضائقة المالية التي كانت تعاني منها عائلته ، ثم ا تجه للدراسة فدرس الرياضيات ، اكتشف قانون الجاذبية بفضل حادثة التفاحة التي سقطت بجانبه - القانون الذي غير حياته والحياة العلمية العالمية ككل – وضع هذا القانون وشرحه في مجلدين تحت عنون المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية ، ومن مؤلفاته أيضا : مستند إلى نظرية كوبر نيقوس ....،كما شغل نيوتن عدة وظائف كانت أهمها في البرلمان .(المرجع نفسه ،ص684) .

*** __-ليبنيتز (1646-1716)__ :
غوتفريد فلهم ، أعظم فيلسوف ألماني قبل كانط ،عالم رياضيات ولاهوتي و كيميائي و هندسي و مؤرخ ودبلوماسي ، كان أبوه أستاذ للفلسفة الأخلاقية في مؤسسة دينية في بلايبتزغ ، قرأ أعمال القديس توما الإكويني وزاباريلا ولوثر .... وغيرهم في سن صغيرة جدا ،اهتم بالمنطق و الميتافيزيقا ، كتب العديد من المؤلفات و الرسائل بلغات عديدة منها : محاولة جديدة في الفهم البشري ، في إصلاح الفلسفة و معنى الجوهر، المذهب الجديد في الطبيعة وفي إتصال الجواهر ،تأملات في المعرفة و الحقيقة و الأفكار .....(المرجع نفسه ،ص ص 580-581) .

[1]- عبد الوهاب الميسرى، __فكر حركة الاستنارة و تناقضاته__ ، (دار نهضة مصر ،القاهرة ،ط1،1998)،ص11

****- __مونتسكيو(1689- 1755)__:
كاتب أخلاقي و مفكر وفيلسوف فرنسي ،ينحدر من أسرة من قضاة مدينة بورد و،درس في معهد جويي علي الآباء الأوراثوريين ،و درس القانون و تخرج محاميا سنة 1708 ،رأي في الدين حيلة بارعة بأيدي الأقوياء لعرض هيمنتهم على الفقراء ، كتب العديد من من المؤلفات و الرسائل منها :إنسحاب عظمة الرومان وإنحطاطهم ، تأملات في الملكية الكلية ،محاولة العلل قد تصيب الإنسان ....(المرجع نفسه ،ص ص 653-654) .

*****- __ديدرو (1713-1784)__ :
ولد في باريس ،درس في معهد اليسوعيين ،تخرج سنة 1732 أستاذ للفنون ، جمعته صداقة قوية بروسو،ألف كتاب الخواطر الذي أدين من قبل محكمة باريس ،كلف سنة 1748 برئاسة الموسوعة ،وتعد الاعوام من سنة 1769 إلى 1773 من أخصب الفترات بالنشاط الأدبي في حياته ،من مؤلفاته :تحسرات على مبذلي العتيق ،حلم دالمبير ،حديث أب مع أولاده ،تهافت الحمك العام ..... (المرجع نفسه ،ص ص295- 296) .

والروبويين، فلا يمكننا وضع أية تعميمات ذات دلالة معينة علي قضية ما ،دون أن تناقض كثيرا من الحالات المماثلة التي تشير إلى نفس هذه القضية أو هذا الاتجاه، أما وجه الاتفاق الذي نلحظه بين اغلب المستنيرين هو :

" تفنيد مزاعم الكنائس المسيحية، كما استخدم فلاسفة التنوير البنية الطبيعية والحجة العقلية[1]"

فقد كان رفض المعتقدات والطقوس الكنسية استخدام البحث العلمي ،أكثر مدعى إليه فلاسفة التنوير؛ وهذا ناجم عن تأثرهم الكبير بتجريبية لوك و فلسفة نيوتن الطبيعية .

خصائص فلسفة التنوير :

من الخصائص الفكرية والاجتماعية والفلسفية لعصر التنوير أو عصر العقل كما يطلق عليه نجد:

* تطور النزعة العقلية والنزعة العلمية ؛فقد تأثر المستنيرين بالفلسفة الحديثة وبالنهضة الأوروبية ؛فقد كان ازدهار العلم و تطوره الذي نتج عنه العديد من النظريات العلمية والآلات ،التي كانت أكبر معين للإنسان علي التحرر من الأفكار السكولائية(المدرسية)، واتخاذ العصر الجديد أساسا للبحث وهو التجربة و الملاحظة والاستعمال الحر والصحيح للعقل وفق مناهج علمية محضة، و أول من دعا إلى هذا من الفلاسفة المحدثين هما :ديكارت وبيكون، فقد اتفقا في الغرض وهو أن يكون للعقل القول الفصل؛ لكنهما اختلفا في المبدأ والوسيلة فنجد أن :

1- ديكارت:

لقد أطلق ديكارت علي مبحث العقل في فلسفته اسم الميتافيزيقا، فهو المصدر الوحيد للحقيقة وللمعرفة- ديكارت من أنصار المذهب العقلي الذي يري أن مصدر المعرفة هو العقل- وهو أداة من عند الله مفروض فيه الدقة والصدق، كما اثبت ديكارت الوجود عن طريق العقل وربطه بالتفكير عن طريق قاعدة الكوجيطو " أن أفكر إذن أن موجود" كما وضع ديكارت في كتابه مقالة الطريقة أو مقال في المنهج ،قواعد لقيادة العقل للتفكير الصحيح والبحث عن الحقيقة في العلوم، وهذه القواعد هي :

-البداهة واليقين: "ألا أسلم في شي على انه صدق إلا إذا كذلك[2]؛أي لايمكن تقبل شي على انه حقيقة وصدق إلا إذا تبين لى ببداهة ووضوح أنه كذلك كمعرفتنا البديهية أن جمع 1و 1يعطينا2 .

-التحليل : "أن نقسم كل مشكلة تناولناها في البحث إلي أكبر عدد ممكن من الأجزاء بمقدار متدعوا إليه الحاجة إلى حلها على أكمل وجه

[1]- جيمس كولينز،**الله في الفلسفة الحديثة** ،تر: فؤاد كامل،(دار قباء للطباعة والنشر و التوزيع ،القاهرة ،ب ط ،1998)،ص176.

[2] إبراهيم مصطفى إبراهيم ،**الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم** ،(دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، ب ط

– الترتيب والتأليف : أن أرتب أفكاري بادئا بأبسط الأشياء و أسهلها معرفة ثم أصعد خطوة خطوة صعودا متدرجا حتى أصل إلى المعرفة

– الإحصاء : ينبغي في حالة أن أقوم بالاحصائات التامة والمراجعات الكاملة بحيث أوقن بأنني لم أقفل من جوانب المشكلة شيئا [1]" .

2– **بيكون :**

على عكس ديكارت فبيكون يري أن المصدر الوحيد للحقائق هو ملاحظة العلم الخارجي – بيكون من أنصار المذهب التجريبي الذي يقر بان مصدر المعرفة التي يتلقها الإنسان والحقيقة التي يسعى جاهدا للوصول إليها هو التجربة والحواس – "فقد أراد بيكون أن يتخلص العقل الإنساني من الجمود والتعصب الذي كان يعاني منه، فلكي يستطيع الإنسان أن يفكر تفكيرا سليما، وان يبحث بحثا منتجا عليه التخلص من الأخطاء والأوهام الباطنية؛ وهذه الأوهام هي: أوهام الجنس، أوهام الكهف، أوهام السوق، أوهام العقل[2].

ويقدم بيكون منهجا أو طريقة جديدة للتخلص من هذه الأوهام، وهي طريقة الاستقراء؛ "وتتلخص طريقة بيكون في هاتين الخطوتين :جمع الأمثلة مأمكن الجمع، ثم تنظيمها و تبويبها و تحليلها و إبعاد ما يظهر منها أنه ليس له بالظاهرة المبحوثة علاقة علة ومعلول[3]، فمنهج بيكون هنا لا يختلف كثيرا عن منهج ديكارت بالرغم من انتمائهما إلى اتجاهين مختلفين، فقد انقسم فلاسفة التنوير في دعوتهم إلى التحرر والاستنارة بالعقل وبالعلوم إلى عدة تيارات، لكن الغالب عليهم هو استخدام العقل المرجع نفسه ، ص 83وجعله أساسيا في عملية البحث والمعرفة والتقدم نحو الأفضل، فالعقليين اعتبروا العقل مصدر المعرفة و أكدوا على احترام احترامه وتقديسه حتى ونبذوا الفكر الميتافيزيقي الخرافي الأسطوري، ومن جهة أخري فأنصار المذهب الحسي من المستنيرين، فسروا الظواهر الاجتماعية علي ضوء الظواهر الطبيعية بسب انتشار الذهب الحسي الذي يبحث في نظرية المعرفة الاهتمام بدراسة الحياة الاجتماعيةّ .

ومنه فإن فلسفة الأنوار جعلت من وظيفة العقل الأساسية هي الكشف عن قوانين العالم في كافة مجالات العلم والمعرفة ، حيث أصبح له منهج جديد للتفكير يتفق تماما مع تقدم العلوم الطبيعية .

*إعادة الاهتمام بالفلسفة :

أعاد فلاسفة التنوير كما ذكرنا الاهتمام بالعقل إخراجه من السبات الذي كان فيه في العصور الوسطي، وجعله مصدرا مهما للمعرفة، كما أعطوه و فرضوا عليه التفكير بحرية للوصول إلى الحقيقة

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم ،**الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**، المرجع السابق ، ص 83

[2] المرجع نفسه، ص 62،63

[3] المرجع نفسه ،ص 77

ولتحقيق التقدم الذي تسعى الفلسفة خاصة والعلوم عامة الوصول إيه ، فتخلو عن التراث المسيحي التقليدي الذي يبتعد كثير عن قوانين العلم والمنطق التي دعوا إليها، كما رفضوا أخلاق الزهد والتقشف بالدعوة إلى أخلاق أكثر إنسانية والالتزام بقيم السلام و التسامح والابتعاد عن التعصب و العنف، ومن أهم من سلكوا هذا الاتجاه الفلاسفة الموسوعيين وبالأخص فولتير الذي نقد الكتب المقدسة ونقد الكنائس المسيحية وشنا ضدها حملة رفض وإنكار، لأنه يري أن حقيقة الإله لا تكمن في النصوص الدينية المسيحية ولا في الطقوس الكنسية، وإنما في النظام الموجود في هذا العالم، وهو شرط للتقدم ؛فنجد أن "فولتير لا يري تعليمه بالإله استراحة نصف الطريق ،بل يراه التفسير المعقول والوحيد لطبيعة الإنسان في عصر يزداد وعيه بأهمية الكشوف العلمية في قضاياه الأساسية [1]" ؛ لكن موقف فولتير هذا من الله لم يكن ضمن نقده للمسيحية فقط، بل كان موجه أيضا للرد على أصحاب مذهب الإلحاد الذين يرون عكس فولتير أن :"إلغاء الإله يؤدي وظيفة الشرط الضروري للتقدم العلمي [2]"

*التقدم في ضل مفاهيم الحرية والعدالة :

لقد دعا فلاسفة التنوير إلي السعي نحو التطور والتقدم والوصول إلى ذروة العلم والمعرفة وتحقيق السلام والعدل داخل مجتمع يقوده عقل، فهم يؤمنون بقدرة العقل الإنساني على هذا التغير فهم يستطيعون السيطرة على الطبيعة وتسخيرها لخدمتهم كما يستطيعون السيطرة على الأوضاع السياسية والاجتماعية ...، إخضاعها لقانون سياسي وضعي بعيد عن القانون الديني الذي تقوده الكنيسة، فقد أكدوا على الاستقلالية والتحرر وعدم الخضوع لسلطة الكنيسة.

–يعتبر مؤلف الموسوعة أهم أثر بارز و أهم مكتب في عصر التنوير وعبر عن خصائصه وتوجهات فلاسفته، أعدها مجموعة من الفلاسفة والكتاب والعلماء في فرنسا، فقد راو في العلم القوة الدافعية الجديدة في الميدان العقلي، فقاموا بجمع جل المعرفية العلمية في عصرهم واعتبروها طريقة للتعامل مع العالم بشكل علمي، و كانوا يأملون أن ينتجوا بهذا العمل أداة فعالة في الصراع ضد جهالة السلطة القائمة[3].

[1]- جيمس كولينز، **الله في الفلسفة الحديثة** ،المرجع السابق، ص180 .

[2]– المرجع نفسه ،الصفحة نفسها .

[3] - [1]جيمس كولينز، **الله في الفلسفة الحديثة** ،المرجع السابق، ص 186."

وقد كان"بيير بيل" PIERRE BAYLE (1646،1706) * تأثير قوي على المفكرين الموسوعيين، فهو واضع الأساس لتناول عصر التنوير النقدي للتاريخ المقدس و للسلطة الكنسية والأخلاقية الدينية، وقد وضع ذالك داخل سياق مذهب الشك الإيماني .

كما كانت دعوتهم إلى التسامح من أجل تحقيق التقدم سببا في إتحادهم من أجل تحقيقها ، فجموا أفكارهم في هذا الإنجاز – الموسوعة – .

ومنه فإن فلسفة التنوير قد نقلت العلوم الطبيعية و علم الإنسان و المجتمع إلى مقدمة اهتمام المفكر والسياسي، وجردت الفكر من أسر الدين والميتافيزيقا، ففي إنجلترا وقف التنوير موقفا فكريا اتجاه الفلسفة التقليدية وهو الرفض و النقد معا، أما فرنسا فقد بدأ التنوير بالنقد العنيف للدين فاخذ فيها هذا العداء صورة شعبية، حيث بالغو فيه إلى أن وصلوا مرحلة الإلحاد، أما في ألمانيا فالتنوير كان محافظا فأغلب المفكرين الألمان كانوا من أساتذة الجامعات أو قساوسة الكنيسة أو الموظفين، ففكرهم لم يخرج من الدين رغم استنارته فقد كان بين فلسفة مسيحية ومسيحية فلسفية؛ أي انه كان فكر لاهوتي فلسفي .

---

* - **باير بيل (1646،1706)** :

مفكر وناقد فرنسي، ولد في كارلا بالقرب من فوا ، كان ابنا لقسيس بروتستانتي، لكنه تحول إلى الكاثوليكية بعد دخوله كلية اليسوعيين في تولوز(1669)، لكنه عاد إلى البروتستانتية في السنة التالية، غير أنه انفصل عن كل عقيدة دينية و نزع إلى الشك وتحكيم العقل، كان واسع الإطلاع متعدد الاهتمامات، حيث دعا إلى التسامح وإلى الأخلاق والفضيلة، من أشهر مؤلفاته: معجم تاريخي نقدي.(عبد الرحمان بدوي،**الموسوعة الفلسفية**، المرجع السابق، ص400).

الفصل الثالث

التسامح عند فولتير

المبحث الأول : المصادر الفكرية لفلسفة فولتير

المبحث الثاني : من كانديد الى رسالة التسامح

المبحث الثالث : حدود التسامح عند فولتير

المبحث الأول: المصادر الفكرية لفلسفة فولتير :

هاجر" فولتير" إلى لندن، بعد التهميش والظلم و السجن الذي تعرض له في باريس، بسبب كتاباته ضد الحكومة الفرنسية و الكنيسة، فقد أقام في لندن حتى سنة (1729)، حيث أثرت إقامته هذه في تأثيرا كبيرا على مجرى حياته و على ترسيخ فكره، فدرس "فولتير" عقائد نيوتن الطبيعية و الفلسفية وتأثر بها، فهو يقول في كتابه رسائل فلسفية :" تناولت اكتشافات نيوتن ، التي نال بها شهرة عالمية، نظام الكون والضياء و اللانهائي في الهندسة ثم علم الأزمنة الذي تلهى به للراحة " [1]، كما نجد تصور فولتير للإله و الروح و الطبيعة يطابق تصور نيوتن، " إنه الطبيعة ، لا إله البشرية، و نقصد أنه إله يطلب إليه ضمان ذلك الثبات، لا تخليص الإنسان الذي، الذي ما أحدق به قط خطر ذلك هو أقصى الدين الطبيعي، الذي لايرى في الله في الله سوى صانع حكيم لطبيعة نافعة للإنسان " [2]؛ كما تأثر فولتير في إنجلترا بالعديد من الفلاسفة؛ منهم : نظريات فرانسيس بيكون، أحتذي بمثال "تولمان" و "سفستري"، وقراء "شكسبير" ، كما فحص الجهاز السياسي الذي يدير انجلترا وينظم تجارتها.

لكن أكثر فلسفة أثرت في فولتير بعد فلسفة نيوتن هي فلسفة جون لوك، فيقول رسالة حول مستر لوك في كتابه رسائل فلسفية : " لقد ذهب لوك بعد أن أقضي على مبدأ الأفكار الفطرية ، وبعد أن أعدل عن الاعتقاد الباطل بان الإنسان يفكر دائما، إلا أن جميع أفكارنا تأتينا بواسطة الحواس، كما فحص أفكارنا البسيطة و أفكارنا المركبة، وتتبع روح الإنسان في جميع أعماله، وبين مقدار نقص اللغات التي يتكلم بها الإنسان و مقدار متأتي من سوء في استعمال الكلمات في جميع الأوقات" [3]؛ فمصدر المعرفة عند "فولتير" هو الحواس كما هو عند جون لوك.

ويعتبر فولتير رمزا للتنوير الذي طبع كما ذكرنا القرن الثامن عشر(18م)، ليس في فرنسا وحدها فقط بل في كامل أوروبا، وهذا بشهادة الكثير من مؤرخي الفكر الأوروبي الحديث
و المعاصر؛ يقول وبل ديوارانت:"قيل أن فولتير جوهر عصره وروحه، حيث قال فيكتور هيغو عنه: إن اسم فولتير يصف القرن كله، فإذا كان لإيطاليا نهضة، وألمانيا إصلاح، فإن لفرنسا فولتير..."[4].

ويقال أن فولتير هو سبينوزا القرن الثامن عشر(18م)، وسبينوزا هو فولتير القرن السابع عشر(17م)، مما تضمنته فلسفتهما من تشابه كبير، ومن تأثر فولتير بالفلسفة السبينوزية؛ فقد استمد الكثير من كتاباته من سبينوزا، ومن مذهب الإيمان بالله وحده، إنكار الوحي و الأنظمة الدينية، لكن عاد

---

[1] - نقلا عن : فولتير، **رسائل فلسفية** ، ت: عادل زعيتر،(دار التنوير، لبنان، ط1، 2014)، ص 109 .

[2] - إميل إبراهيم ، **تاريخ الفلسفة القرن الثامن عشر**، تر: جورج طرابيشي، (دار الطليعة، بيروت، ط1، 1983)، ص ص 180، 181 .

3 نقلا عن : فولتير، المصدر نفسه ،ص 96

4 ول ديوارانت ، **قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي**، ت:فتح الله المشعشع ،(ط1 ، 1985) ، ص 250 .

وعدل عن كتابات سبينوزا، "فهو يقول في كتابه الفيلسوف الجاهل أنه قد قراء سبينوزا وآرائه حول وحدة الكون و تأليهه ولكنه ابتعد عنها على أساس كونها أراء ملحدة".[1]

لقد كان فولتير مناقضا للظلم والتعصب، داعيا للتسامح و السلام والحرية الفكرية؛ فقد نقد الكنيسة و نقد الحكومة، وكان يدافع عن المظلومين في المجتمع كدفاعه عن قضية ال كالاس التي ظل لمدة سنة وهو يدافع عنها ويراسل كل من له نفوذ في فرنسا لإعادة محاكمة هذه العائلة ، وقد خصص لهذه القضية مقدمة رسالته في التسامح .

أما مؤلفه "القاموس الفلسفي"DICIONARIO FILOSOFICO "، الذي يعتبر من أهم أعمال فولتير الأدبية والفلسفية والنقدية، فهو قمة ما وصل إليه عصر التنوير من تقدم فكري وحضاري، وهو أكثر ما عبر عن نقد فولتير للمسيحية ودعوته للسلام و لهدم الأفكار الميتافيزيقية، ويهدف فولتير من مؤلفه هذا إلى تحقيق ثلاث غايات هي :"

* رفض عقيدة العناية الإلهية التي تقوم عليها الديانة المسيحية (الفلسفة المسيحية خصوصا فلسفة القديس أوغسطين)، وبالتالي رفض كل ما يتعارض مع العقل في ميدان العقائد أو ما يتعارض مع المنفعة في مجال السلوك أو ما يتعارض مع الأخلاق في مجال العلاقات الإنسانية

* هدم الفلسفات الميتافيزيقية و النظريات الفلسفية التي هي أقرب للمتاهة العقلية و المناداة بالمعرفة الحسية ...

* الدعوة إلى السلام و مهاجمة الحروب الدينية أو الدنيوية ، وشجب التعصب الديني والفلسفي ، القوة والعنف في تنظيم العلاقات بين الأفراد وبين الدول [2]".

ومنه فإن القاموس الفلسفي في مجمله كان يته نحو إثبات الغاية الأولى، وهي إعادة بناء الدين على أساس عقلي، وهو مشروع الفلسفة الحديثة عند ديكارت و سبينوزا و ملبرانش و كانط و ليبنيتز ...، وهو مشروع يهدف للقضاء على الأسطورة وعلى كل ما يند العقل .

أما في نقده للمسيحية فنجد فولتير في مقاله " المسيحية دراسة تاريخية " أنه يبين التناقض الفرق بين مقاله السيد المسيح وبين ما يعرف باسم المسيحية، فالمسيح كما يقول فولتير :" لم يدع إلى عقائد بل دعا إلى الأخلاق و الفضيلة ولم يؤسس عقائد ولم يقم دينا، ولم يبين شعائر ولا طقوس " [3]، كما نقد فولتير الكتاب المقدس – العهد القديم – فقد اتخذ نفس الموقف الذي اتخذه ريتشارد سيمون و سبينوزا من قبل، و هو أن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة المعروفة باسمه، حيث يرى أن الكنيسة نفسها لم تقرر ولم تقل أن موسى هو من ألفها، فنسب موسى لها يذكر في أي سفر يعتبره اليهود صحيح، كما أن هذه الأسفار لا تخلو من التناقض فيما بينها، ويدلل فولتير على موقفه هذا ببعض الحجج منها :

---

1 ول ديوارانت ، **قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي** ،المرجع السابق، ص 298 .

2المرجع نفسه ، ص 298 .

3 المرجع نفسه ، ص 89

- [إن لغة السفر لا تدل على انه كتب في مصر مع أن موسى عاش في مصر.
- إن السفر يتحدث عن بيئة حضارية وبيئة صحراوية .
- كما يقول انه لو كان موسى كاتب الإصحاح الأول من سفر التكوين لما حرم قراءته على الشباب، وانه لو مؤلف سفر الأحبار لما قال شيئا مناقض له في سفر التثنية ...[1].

كما رفض فولتير الشعائر والطقوس المسيحية، العماد، المشاركة،القداس، الاعتراف، الرهبنة، الزواج، الصلاة الأخيرة للمحتضر ....، فيرى أنه من الخطأ أن يظن الناس أن عملية العماد تؤدي إلى الطهارة الروحية بمجرد غسل البدن، يقول مستهزأ :" العماد يطر كل شيء، أستطيع إذن أن أقتل زوجتي و إ بني وكل أقاربي ثم أعود أعمد نفسي فادخل الجنة " [2]

وهذا ليس عدل في حقهم، ومنه فإن هذه الطقوس و الشعائر والاحتفالات الدنية جرائم محلية ،لأنها ضارة بالمجتمع خاصة إذا تمت في صورة أضاح وقرابين لأن عبادة الله لا تتم بالطقوس و لا بالمعجزات وإنما تتم بالسلوك العام أي العمل الخلقي .

ومنه فإننا نجد فولتير قد نقد الكتاب المقدس ونقد المسيحية و نقدا عقليا و تاريخيا، وبيّن التناقض و الاختلاف بين الأحداث في الأسفار فيما بينها وبين الأناجيل، هذا التناقض الذي كان سببا في رفضه ل أولوهية المسيح ولعقيدة التثليث، فقد نشر في مقالة في الموسوعة التي أنشأها المستنيرين، بعنوان الإنجيل و التي أضيفت إلى مقالات قاموسه سنة 1767 .

يعتبر فولتير التعصب الديني واقعة خاصة بالمسيحيين، باعتبار توجهات رجالها تهدف إلى السيطرة الدينية والسياسية، أكثر من نشر تعاليم الدين الصحيحة ، وهذا التعصب الذي تسبب في خسائر مادية وبشرية كبيرة، وجرائم ضد الإنسانية، كالذي خلفته حرب الثلاثين عام الدنية بين الكاثوليك والبروتستانت _ حادثة عائلة آل كالاس _ .

لقد استخدم فولتير أراه حول الفلسفة الصينية الكنفوشيوسية، التي عرضها في كتابه : "مقال في الأخلاق" سنة 1756، ليشن هجومه على المسيحية، وعلى الكنيسة الكاثوليكية بوجه التحديد؛ فأكد فولتير أن:" الكنفوشيوسيين مؤمنون بالإله، وأن إيمانهم برب هو الأعلى فائق القدرة لا ينبني على الإيمان النظري العيني المجرد، بل على النور الطبيعي للعقل " [1]؛ فالدين والإيمان عند الصينيين ارتبط بالعقل ، وليس بأي ممارسات خرافية كعبادة الأيقونات

و التصديق بالمعجزات وجعلها سببا في إيمانهم بالله، وهذا ما جعل الكونفوشيوسية تنجح في بناء نظام

1حسين حنفي ،**في الفكر الغربي المعاصر** ،المرجع السابق، ص99
2 المرجع نفسه ، ص99
3 جي جي كلارك ، **التنوير الآتي من الشرق** ، ت: شوقي جلال

أخلاقي و اجتماعي أثر بشكل كبير في ترسيخ تعاليم الديانة الكونفوشيوسية داخل المجتمع الصيني، وهذا ملا نجده في أوروبا، ففولتير يرى أن النظام اللاهوتي الذي أقامته المسيحية بكل ما احتواه من معتقدات خرافية وشعائر ومؤسسات فاشلة – كنائس – التي هي أشياء لا لزوم لها للإيمان بالله و لترسيخ الدين في عقول الناس؛ فهو هنا قدم الصين كنموذج للأوروبيين في الأخلاق و الدين و الحكومة و السلوك العام، كما استثمر الفلاسفة الموسوعيين أيضا الموقف التنويري للصين القائم على التسامح كما يبدو في ظاهره للهجوم على التعصب الديني والاضطهاد الذي تتعرض له الطوائف المختلفة في أوروبا .

لقد صور فولتير المسيح في أحسن صورة، بأن نزع ما أضافه اللاهوت عليه؛ بنقده للكنيسة وللأناجيل للعقائد والطقوس، و بين حقيقته وليفرق بينه وبين الله الخالق، وبين انه نعمة من الله بعثه ليهتدي البشر به وبدينه، وليس ليضلوا عن سبيل الحق فقد صوره فولتير وهو يبكي على الحالة التي آلت إليها الكنيسة و على الجرائم التي ارتكبها الناس بحقه وبحق الدين المقدس الذي جاء به.

يقول فولتير في قاموسه الفلسفي :" من أعطانا الإحساس بالعدل وبالظلم، إنه الله الذي إعطانا دماغا و قلبا، يسوع لم يعلم أي عقيدة ميتافيزيقية، كما لم يكتب رسالات لاهوتية، كما لم يقل أبدا أن يشارك الله في الجوهر، أو لي إرادتين أو طبعتين في شخص واحد ... ، لم يؤسس رهبانية ولا قضاة تفتيش، ولم يأمر بشي مما نراه اليوم " [1]

ومنه فإن فولتير يعتبر بفكره هذا وبنقده هذا، نفحة من نفحات التنوير الفرنسي ،رغم ما حمله هذا الفكر من قيم سامية تخص العدالة و الحرية والتسامح ، إلا انه حمل روح العداوة للمسيحية، لما أتت به من تعصب و لما قامت به من تحريف، ومن ابتعاد عن القيم و الأخلاق.

المبحث الثاني: من كانديد إلى رسالة في التسامح

كانديد:(دلالة فكرة التغير و رفض فلسفة التفاؤل عند فولتير) :

يقول أحد المفكرين : أنه كلما دار الحديث حول المفكر الفرنسي فولتير، فإنه يتضح أن أسلوب الضحك عنده يحمل بعدا ثوريا حقيقيا، بين عبارته الساخرة و الهزلية، أي أن فولتير يدعوا إلي الثورة حتى أثناء كتاباته الكوميدية و الروائية ، وأكثر أعماله التي يطلق عليها هذا هي روايته " كانديد أو التفاؤل "، وهي رواية يمكن أن تقرأ كنص ساخر أو عمل فلسفي أو قصة فتى تتغير حياته من مكان إلى أخر كثرت فيها الأحداث، أيضا كدرس في الأخلاق و في الأحوال جميعا لأنها مليئة بالعبر و المواعظ،؛ ولكن لابد أن تقرأ كرد مباشر من فولتير على تفاؤلية ليبنيتز.

[1] نقلا عن: نعيمة إدريس، إشراف: زروخي إسماعيل، **أزمة المسيحية بين النقد التاريخي و التطور العلمي** ، رسالة دكتوراه، جامعة قسنطينة، قسم الفلسفة ، 2007– 2008، ص143

تدور أحداث الرواية حول كانديد الصبي الذي تربى في قصر بارون في فرنسا، وقد أشرف عليه الأستاذ الفيلسوف بانغلوس الذي زرع فيه فكرة أن كل شيء نحو الأفضل في أفضل العوالم الممكنة وهو هذا العالم الذي نعيش فيه، وأن كل شيء سيتغير للأفضل لا محالة، أحب كانديد ابنة البارون كونيكوند فطرد من القصر بسبب هذا، وهنا يبدأ التغير في حياة كونديد ويبدأ أول اختبار لفكرة التفاؤل التي يؤمن بها، فبمجرد خروجه من القصر التقط كونديد وأجبر على الانخراط في الجيش البلغاري فذاق أول كأس للشر في العوالم الممكنة !؟

رغم ماتعرض له كونديد من قهر إلا أن فكر معلمه بقى راسخا، وبقي متفائلا بوجود خير في العلم، ومدام أن كل الأشياء خلقت من أجل غاية معينة فإن ما يحدث له الآن هو من أجل غاية ما وسوف ينتهي؛ يقول بانغلوس مخاطبا كونديد :" لقد أثبت أن الأمور لا يمكن أن تتم على غير هذا النحو لأن كل شيء قد تم من أجل غاية محددة بضرورة من أجل الغاية الفضلى . لاحظوا جيدا أن الأنوف قد وجدت لتحمل النظارات، ونحن نملك النظارات؛ وخلقت الأرجل لكي نرتدي بها الجوارب، ونحن نملك جوارب، ووجدت الصخور ليتم نحتها ، وكي نبني منها قصور، وهكذا يملك سيدنا قصرا جميلا جدا،(...)، وهكذا فإن كل من أكد أن كل شيء يسير على خير ما يرام قد تفوهوا بحماقة؛ فقد كان يجب أن يقولوا أن كل شيء يسير على نحو أفضل " [1]، فقد هاجم فولتير من خلال هذه الرواية التفاؤل، من خلال سرده للشرور الموجودة في العالم والتي يتعرض لها الإنسان؛ والتي تعرض لها كونديد في القصة وهي : زلزال لشبونة، المرض، الإكراه، غرق السفن ...، والشرور التي يتعرض لها الإنسان في معاملاته مع الأخريين فكونديد ضرب ونفي بمجرد حبه لابنة البارون؛ ربما فولتير أشار إلي هذا النفي وهو نفسه الذي تعرض له هو من جراء حبه للدفاع عن الحرية و الحق ...

* ترابط الخير بالشر، قد يؤدي الخير إلي الشر أحيانا و العكس فقد يؤدي الشر على الخير في أحيانا أخرى؛ فالحب وبتصنيفه خيرا أدى بكانديد إلي النفي و الضرب و الانتقال من العيش السعيد في القصر إلي التشرد ومحاربة ظروف الحياة الصعبة من أجل البقاء، يقول كانديد : " لقد عرفت هذا الحب، ملك القلوب وروح روحنا، ... ، كيف استطاع هذا السبب الرائع أن يؤدي إلى نتيجة رديئة كهذه ؟[2]"، كما يمكن من جهة أخري أن تؤدي أسباب شريرة إلى نتائج خيرة، فالمرض وبوصفه شرا يمكن أن يؤدي إلي الخير بطريقة ما، يقول بانغلوس في حواره مع كانديد حول المرض الذي انتقل إلى باكيت من تسلسل من الأفراد و تعود بدايته إلى أحد أصدقاء كولومبس،" ... كان أمرا ضروريا في خير العوالم، وعنصرا ضروريا لأنه لو لم يكن كولومبس قد أصيب بهذا المرض الذي يسمم مصدر الحياة، في إحدى جزر أمريكا، و الذي غالبا ما يشكل عائقا أمام استمرار الأجيال، ويعاكس هدف الطبيعة الأكبر، لم نكن

1 – فولتير، **كانديد أو التفاؤل** ، تر: آنا ماريا شقير، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط 1، 2005 ، ص 32 .

2 - – نقلا عن : فولتير، **كانديد أو التفاؤل**، المصدر السابق، ص 52 .

لنحصل على الشوكولا و لا على شجرة المغافير، ولابد من الملاحظة أنه وحتى اليوم مزال هذا المرض خاص بنا، مثل خلافاتنا الدنية ..." [1]، فإذا ربطنا فكرة الخير والشر التي جاء بها فولتير بالتعصب والتسامح فيمكننا القول : أن الدين المسيحي الذي أتى به عيسى المسيح دين يدعوا إلى الخير في كل دلالته، لكنه وصل إلى الخير وهو التعصب الديني المسيحي؛ كما الشر والذي هو التعصب وهو مرض كما قال فولتير خاص بالمسيحيين يمكن أن يؤدي إلي الخير وهو التسامح، وهذا الشر الناتج عنه قد يكون سبب كافيا أو محفزا له .

* زلزال لاشبونة و تساؤل كانديد أنه إذا كان هذا خير العوالم الممكنة فكيف يكون الشر ؟

منذ بداية حياته تعلم علي يد بانغولس أن كل شيء يسير نحو الأفضل وأن عالمنا يسير نحو الأفضل في أفضل العوالم الممكنة، لكنه بعد أخذ من مارتين عكس ما علمه أستاذه، فبالنسبة لمارتين كل شيء سيء جدا ولا وجود للخير على وجه هذه الأرض؛ فبعد حادثة لشبونة و شنق بانغلوس وجد كانديد نفسه أمام سؤال إذا كان خير العوالم الممكنة كما علمتني يا بانغلوس، فكيف يكون الشر في أسوأ العوالم الممكنة ؟

فإذا كان هذا عالم البشر و كل هذا الشر ناتج من إنسان ضعيف أو من طبيعة، فكيف سيكون الشر والنار التي يحذرنا الله منها ...

*فكرة التغير عند فولتير من خلال كونديد :

تتغير الحياة، لاشيء يظل كما كان ويظهر هذا من خلال شخصيات الرواية أحداثها ،كانديد كان صبي لطيف يعيش في قصر البارون طرد منه وبعد متعرض له في حياته تحول من إنسان متفاءل إلى متشائم، كونيغوند بعد أن كانت فتاة جميلة و لطيفة تحولت إلي عجوز متعجرفة ...، لقد تجمع كونديد و زوجته كونيغوند و أصدقاءه، وكان شعارهم يجب أن نزرع حديقتنا، فكل الأحداث التي يمر بها الإنسان في حياته مرتبطة بخير معين أو تغير من حالة إلى أخرى ؛ يقول بانغلوس : " إن كل الأحداث مرتبطة في خير العوالم الممكنة، لأنه في النهاية، لو أنك لم تطرد من قصر جميل و تضرب على قفاك بسبب حبك الآنسة كونيغود، ولو أنك لم تخضع للتحقيق، ولو أنك لم تجتز أمريكا سيرا على الأقدام، ولو أنك لم تطعن البارون، ولو أنك لم تفقد كل خرافك التي أتيت) بها من بلد الإدوادو الطيب، لما كنت تأكل هنا ثمار و فستقا " [2]

ونجد أن فولتير قد دعا من خلال مؤلفه هذا، إلى نبذ الشر من خلال المشاهد التي صورها في القصة ومنها التي تعرضت لها كونغوند، يقول فولتير على لسان كونيغوند:" كنت في سريري أغط في نوم عميق، حين أرادت السماء أن ترسل البلغار إلى قصرنا الجميل (...)، فشقوا بطن والدي و شقيقي،

[1] – نقلا عن : فولتير ، **كانديد أو التفاؤل**، المرجع السابق ، ص 54

[2] - المصدر نفسه ، ص 300 .

وقطعوا والدتي إلى أجزاء، عندما رأى رجل طويل القامة من البلغار (...)أني قد فقدت الوعي إثر هذا المشهد، اعتدى علي، فأعادني هذا إلى رشدي، فصرخت، وعضضت، وخدشت، وأردت ان أقتلع عيني هذا البلغاري الكبير"، فقد ربط هنا الشر الذي تعرضت له غونغوند بإرادتها القوية في الرد على الذي تعدى عليها والرغبة في قتله، وهو يسعى هنا للتصدي لفعل الشر ومحاربته وعدم الاستسلام له، كما دعا إلى وجوب النظر للحياة بنظرة أكثر واقعية، والابتعاد عن الأشياء الغيبية والميتافيزيقية.

وقد ختم فولتير مؤلفه هذا بعبارة "يجب أن نزرع حديقتنا" ؛و التي تدل على الحث على الارتباط بالواقع حتى في أصغر صوره، و الانتقال من حالة التأمل والبحث فيما حدث وفيما سيحدث، إلى التنفيذ والعمل، أي من المجال النظري للأفكار إلي العملي.

فيجب أن نزرع حديقتنا، أي أنه يجب أن نطبق كل قيمنا و معارفنا وتصورنا على الواقع، أن نزرع أفكار عقولنا على أرض أعمالنا، لنحصد تسامح الحاضر وسلام المستقبل.

رسالة في التسامح:

لقد تكررت عبارة " اسحقوا العار الذي يلحق بالأشخاص " كثيرا في كتابات وأعمال فولتير ؛وهي تشير إلي تلك الإساءات التي تلحق بالناس من طرف الحكومة و رجال الدين، كما تشير أيضا إلى الخرافات و عدم التسامح الذي زرعه الكهنة باسم الدين في نفوسهم .

لقد شعر فولتير بهذا، وقد كان حساسا اتجاه الموضوع بسبب الأحداث التي تعرض لها وشاهدها في حياته، فقد تعرض للسجن ثم النفي كما تعرض لمصادرة كتبه من طرف الحكومة الفرنسية ومنعها من النشر ....

ومن أهم عبارات التسامح التي تنسب إلى فولتير : قد أختلف معك في الرأي ولكنني على استعداد من أجل الدفاع عن رأييك؛ أنا أمقت ما تكتُب ولكنني على استعداد تام لأن أضحي بحياتي من أجل أن تستمر في الكتابة.

لقد رأي فولتير نفسه قائدا لحملة صليبية ضد المسيحية المتعصبة، يقول فولتير " وحدوا أنفسكم و أقهروا التعصب و الأوغاد، و اقضوا على الخُطب المظللة و السفسطة المخزية و التاريخ الكاذب (...)، لا تتركوا الجهل يخضع العلم ، سيدين لنا الجيل الجديد بعقله وحريته " [1]

كانت أوروبا الشمالية في زمن فولتير قد تحررت من قيود التعصب وخفت فيها وطأة الاضطهاد بين الناس، فزيارة فولتير إلى إنجلترا، ورؤيته للتسامح الذي كان سائدا فيها على عكس التعصب الذي كان يعم المجتمع الفرنسي، وزيارته إلى ألمانيا و اختلاطه "بفريدريك الثاني"، حيث رأي فيه ملكا متسامحا لا يبالي بأي دين يؤمن به رعاياه ماداموا يدفعون الضرائب و يلتحقون بالجيش؛ أسبابا في عزم فولتير و إصراره على محو التعصب من فرنسا، وكان برنامجه مزدوجا في هذا وهو تأليف الكتب و تهيئة

[1] - ول ديوارانت، **قصة الفلسفة الحديثة من أفلاطون إلى ديوي** ، المرجع السابق ، ص 295 .

وسائل الدفاع عن المنكوبين الذين يحاكمون من أجل عقائدهم كقضية "آل كالاس" و منزله الذي كان قبلة كل مظلوم .

لقد طرح فولتير مثل "لوك" مسألة التسامح في مؤلفيهما"رسالة في التسامح" و قما بمناقشته من منظور أنه يمثل إشكالية بين الأفراد في حالة وجود اختلاف إيديولوجي أو مذهبي بينهم، سواء بين المجتمعات أو بين الطوائف أو بين الأسر حتى، فقد كتب فولتير رسالته هاته مستلهما أفكار لوك في التسامح، لأن رسالة لوك ظهرت قبل حوالي قرن من عصر فولتير، وهم يتفقان على المفهوم القائل :" أنه لابد من يسمح لكل مواطن ألا يتصرف إلا بعقله و أن يعتقد فقط بما يمليه عليه هذا العقل سواء أكان مستنيرا أو جاهلا." [1]

أي إعطاء الحرية العقلية للإنسان و السماح له بالاعتقاد بما يراه عن طريقه، أنه مناسب له و يؤمن به عن قناعته، فالحرية الفكرية هنا ضرورية لتحقيق قيمة التسامح، فعندما أعطيك الحرية في أن تفكر كيف تشاء فحتما سوف أقبل ما سوف تصل إليه من أفكار أو تؤمن به من معتقدات .

كان هدف فولتير من هذه الرسالة هدفا واقعيا عمليا، أكثر منه نظريا، فلم يكن يريد منها أن تُقرأ من طرف المثقفين وحدهم، ولا أن تظل حبيسة رفوف المكتبات؛ فقد أراد بها مواصلة الكفاح ضد التعصب والظلم،" فهو لم يكن يتوجه برسالته هاته إلى الجمهور المثقف و إنما كان يهدف إلى تعبئة الرأي العام لصالح الأبرياء و المضطهدين بسبب انتمائهم الديني" [2]، فقد كان يسود فرنسا تعصب ديني مسيحي، عانت منه الطوائف الكاثوليكية و البروتستانتية مدة ثلاثين عام – حرب الثلاثين(1618–1647) عام بين الكاثوليك والبروتستانت –الذي كانت نتيجته خراب عظيم نال أوروبا، والتسامح الذي عرفوه بعد حالة التعصب، كان خوفا منهم من عواقب هذا التعصب أكثر منه حب أو رغبة في ممارسة التسامح كقيمة إنسانية وأخلاقية بين بعضهم البعض بغض النظر عن الاختلاف الموجود فيما بينهم .

*** أسباب االتعصب :**

لو تأملنا في أسباب التعصب والحروب و النزعات بين الناس فإننا نجد أنه:

"لم نسمع قط أن إنسان تقدم للقتل راضيا أو كد نفسه حتى مات في سبيل أكلة شهية يشتهيها أو عقار يفنيه، و إنما سمعنا أن أناس عديدين تقدموا للقتل من أجل عقيدة جديدة أمنوا بها، ولم يقرها عليهم الجمهور أو الحكومة [3]"، فنجد أن أكثر شيء يؤدي إلى التعصب هو الدين بالدرجة الأولى أو المعتقد، إضافة إلى العديد من الأسباب منها :

* أن الناس مطبوعون على الكسل و التسليم لما لقوه من عادات والعادات الفكرية و العلمية .

---

[1] مايكل أنجلو ، **أعداء الحوار أسباب اللا تسامح ومظاهره**، المرجع السابق، ص459 .

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] سلامة موسى ، **حرية الفكر وأبطالها عبر التاريخ** لمرجع السابق ، ص ، ا 10 .

* ارتباط المصلحة المالية و المعاشية وتعلقها بالعادات المعروفة ، فحرية الفكر تؤدي إلى تبديلها وبالتالي إضاعة هذه المصلحة علي بعض الطبقات .
* اضطهاد الأفكار الجديدة و بالتالي الجهل[1].

فدخول الإنسان في مرحلة العجز الفكري و التسليم بأفكار و عادات تفرضها عليه حكومة أو كنيسة، سيزرع في نفسه فكرة التعصب لهذه الفكرة أو تلك الديانة أو هذه العادة، و عدم التطلع أو قبول أي فكر جديد مخالف، و هذا بسبب ارتباط الدين بالسياسة و التأثير الكبير الذي ينجم عن هذا، فالتعصب و الاضطهاد بسبب استعمال رجال الدين له كسلاح ليخيفوا به العامة تحت اسم العقاب و المصير في الحياة الآخرة ، بعد أن زرعوا في نفوسهم فكرة العقاب الإلهي، ولهذا أتوا بما يسمى نصوص الغفران، وبهذا تظل السلطة في أيديهم لأن عامل الدين له أقوى تأثير في نفوسهم أكثر من أي شيء أخر؛ يقول ميكا فيلي*: "يجب على الأمير أي الحاكم، حماية الدين و لو كان هو نفسه لا يؤمن به ، لأن الدين يعاونه على حكم الجماهير وعلى تثبيت سلطانه " [2]، أي أن حماية الملك للدين تحقق له السيطرة علي الشعب، لأنه سوف يشكل قوة في وجهه بإتحاده مع رجال الدين، فهنا تكون السيطرة مزدوجة روحية دينية وسياسة مدينة، كما أنه لا يجب علينا الإيمان بالدين لقبوله .

يري فولتير أن التعصب مسألة داخلية و وباء منتشر داخل المجتمع الفرنسي و في الطائفة الكاثوليكية على وجه الخصوص، ولكنه يتسأل عن الأساس الذي تري به الفرق أو الطوائف ممارستها التعصبية ضد فرق و طوائف أخرى تعتقد معتقدات تخالفها ؟

يمكننا القول أن هذه الطوائف في تعصبها تنطلق من فكرة أنانية وهي أن مذهبها وحده هو الصحيح في هذا العالم أما بقية الأديان الأخرى فلا يجوز فيها إلا النفي و الزوال؛ هذا هو قانون التعصب، <<الحقيقة مذهبي وما أقوله أنا هو الصحيح >>،وتتكرر هنا نفس الفكرة التي كانت سائدة عند المصريين حول الشعوب الأخرى غير المصرية وعلاقتها بالإنسانية، حيث يرون أن صفة الإنسانية تطلق على سكان مصر دون سواهم فالذي يسكن مصر ويتكلم لغة أهلها ويلبس زيهم يمكن اعتباره إنسان أما البقية من البلاد الأخرى فالا يمكن اعتبارهم أناسا، " فكان يميز بين الناس من ناحية، وبين الليبيين و الأسيويين أو

---

[1] سلامة موسى، **حرية الفكر وابطالها عبر التاريخ**، المرجع السابق ، ص 17.

* - **ميكافيلي**: ولد نيكولا ميكافيلي في فلورنسا، كان أسلافه من نبلاء تسوسكانيا ، الذين بلغوا أعلى المناصب في جمهورية فلورنسا، وتدل كتاباته على أنه درس التراث اللاتيني دراسة متأنية لاسيما في التاريخ، كما أنه كان مفتونا "بدانتي"، اشتغل عدة مناصب سياسية، من أعماله نذكر: كتاب "الأمير"، وكتاب" مطارحات ميكافيلي"، وكتاب "أحاديث لتيتوس ليفينيوس" وهي أهم أعماله السياسية. (عبد الرحمان بدوي، **موسوعة الفلسفة** ، مرجع سابق، ص ص464،463).

[2] نقلا عن : سلامة موسى، المرجع السابق ، ص 20

الإفريقيين من ناحية أخرى[1]"، فهم يرون أن الأناس هم المصريون فقط ، أم الآخرون فلا، ونجد أن التعصب هو أكثر أشكال اللا تسامح حدة، يصل إليها الإنسان اللا متسامح وهو: " الإنسان العاجز عن النقاش ، يفكر و يتكلم بمفرده ، دون أي حوار[2]".

فإذا كانت كلمة التسامح هي :" مصطلح حديث ولد في أوروبا في عصر التنوير ، مع نهاية الحروب الدينية ، مصاحب لترسيخ الأفكار الثورية وهي حقوق الإنسان ،التي كانت تترجم ببعض مصطلحات سياسية المبدأ المسحي القائل بالمساواة بين البشر " [3]، فإننا من جهة أخرى و رغم اشتقاق كلمة اللا تسامح منها فإنها تختلف عنها في المعنى و الدلالة فهي تعني :

" حتى ولو كانت مشتقة من الكلمة السابقة فهي تهدف للإشارة إلى الافتقار للتسامح في جوهرها ، المتمثل في الانغلاق التام اتجاه الأخر، فهي ظاهرة متعسفة قديمة قدم الإنسان و بالتالي يمكن فهمها بالغريزة "[4]، ومنه فإن اللا تسامح يعبر عن حالة الإنسان الطبيعية الأولى، وهي حالة تعصب و توحش تسيرها الغرائز؛ فا للا متسامح مرجعه الجهل، ففي أغلب الأوقات يرغب ويتجه نحو الجهل فهو لا يشعر بأي ضرورة للتعلم أي شيء ممن لا يفكرون على نفس شاكلته، انه يؤمن بأن كل ما يعتقد هذا الأخير وكل ما يقول أو يفعل هو خطأ، لذلك هو لا يريد أن يسمع منه أو يتحاور معه .

فالجهل سبب التعصب كما ذكرنا من قبل و اللا تسامح، أي الابتعاد عن القيم الإنسانية والفضائل، وهي نفسها فكرة سقراط و أفلاطون في الفضيلة ، فقد ربطوا الفضيلة بالعلم، حيث يرون أن أفعال الإنسان الخيرة والشريرة ناتجة عن جهله، الخير هو العلم والشر هو الجهل، فالمتعصب يميل إلى الجهل أكثر من ميله إلى العلم بما عند الأخيرين من أفكار و تقبلها و الاقتناع بها أي عدم الرغبة في الحقيقة، ويحدث بهذا جمود عقلي من جهة وتعديا على الأخر من جهة أخري عن طريق نفيه لدينه وعدم الاعتراف به، يقول فولتير:" إن التعدي السافر على دين من الأديان هو بمثابة دليل قاطع على أن العقل الذي يقف وراءه إنما هو عدول عن الحقيقة [5]".

و الفرق بين اللا متسامح والمتعصب ، هو أن المتعصب لا يريد أن يبتعد عن موقفه لكنه يقر بأن للخصم أسبابه لكي يتصرف بمثل هذه الطريقة، بينما اللا متسامح لا يرضى بالتزام موقفه ، وهو يدافع أكثر شيء انه على حق ، وأن يفرض هذا الحق على الأخريين .

ه فرانك فورت، جون ولسن و آخرون، **ما قبل الإنسان في مغامراته الفكرية الأولى** ، تر: جبرا إبراهيم جبرا،(المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ،ط2 ، 1980)، ص45.

[1]

[2]مايكل أنجلو **أعداء الحوار (أسباب اللا تسامح ومظاهره)** ، المرجع السابق ، ص 35

1 المرجع نفسه، ص 33.

[3] المرجع نفسه ، ص 34. 2

[4]المرجع نفسه ، ص 34. 2

[5] ةفولتير ، **رسالة في التسامح** ، المرجع السابق ، ص 133

يري فولتير أنه : " كي لا يكون من حق حكومة من الحكومات أن تعاقب البشر يلزم ألا تكون هذه الأخطاء جرائم، وهي لا تغدوا جرائم إلا عندما تخل بأمن المجتمع، وهي تخل بهذا الأمن عندما تحرض على التعصب الديني ، فعلى البشر، إذا، أن يبدوا بالتحرر من كل تعصب ديني كيما يستحقوا التسامح [1]"، فيجب على الحكومة معاقبة المتعصبين لأن في تعصبهم هذا إخلال بأمن الدولة، وجريمة ترتكب في حق غيرهم بحجة الدين ، كما يحدث الآن ضد مسلمي بورما، الذين يقتلون بأكثر الطرق وحشية .

كما أن التسامح هو نتاج الثقافة والتربية، تماما كتعلمنا أن لا نسرق ولا نقتل، فإنه يجب علينا تعلم أن نعفو ونسامح، والتعصب نتاج جهل ووحشية و تتبع غرائز و أهواء وتظليل للعقل و عدم مبالاة للحقيقة الاختلاف بين الناس، في اللغة والدين واللون ...،فقبول و تقدير أشكال الاختلاف والتنوع لا ينتميان إلى نطاق أخر أكثر ترفعا و نبلا من التضامن؛ "التضامن هو المفهوم الأكثر قربا للمحبة، والتآلف الذي يضع حدا للصراعات و يمكن تشبيهه بوليمة الأصدقاء عند الإغريق، مشاطرة الأحزان عند الرومان، والمحبة عند المسيحيين ، الشفقة عند البوذيين، الرحمة عند المسلمين"[2] .

الخرافة و التعصب :

"إن الخرافة بالنسبة للدين هي كالتنجيم بالنسبة لعلم الفلك، أو فالنقل أنها البنت المجنونة لأم حكيمة"، لكنها زالت و تلاشت مع مرور الوقت، بسبب ظهور العقل و انتشار العلم، وهي مرتبطة بالتعصب لأن كل منهما يغذي الأخر، فما يزيد من قوة التعصب هو تصديقه للخرافات، و الأساطير، والتعصب لها، و بهذا تستمر الخرافة بسبب التمسك بها و عدم إخضاعها للعقل، فكل منهما يثبت وجود الأخر، فلولا الخرافات لما استمر التعصب و لولا التعصب لما عاشت الخرافة وانتشرت بين الناس وتد والتها الأجيال.

حاول فولتير القضاء على الخرافة، كما حاول القضاء على التعصب بالتسامح الذي يتمثل في الروح الفلسفي، يقول فولتير :" لا يوجد علاج لهذا الداء المعدي إلا الروح الفلسفي، التي بانتشارها شيئا فشيئا تهذب أخلاق الناس وتحذر من التطرف ...، ولا تكافح القوانين و الدين ضد طاعون النفوس هذا، فالدين زادا شافيا، بل يتحول إلى سم في النفوس المريضة ..."[3].

فالدين جاء ليهدي الناس و ينير لهم طريق الحق، وينشر بينهم المحبة، بينما آتي التعصب حاملا اسمه، لكنه ينشر الظلم و الاضطهاد و يقتل البرء تحت راية الدفاع عن تعاليم الدين والتعصب لها، وهذا يبين

---

[1] نقلا عن : فولتير، **رسالة في التسامح**، المرجع السابق ، ص 145

[2] مايكل أنجلو، **أعداء الحوار**، المرجع السابق، ص 38.

[3] نقلا عن : كرين برينتون، **تشكل العقل الأوروبي الحديث**، تر: شوقي جلال، عالم المعرفة، الكويت، ب ط ، 1978)، ص 97

لنا أن التعصب هو العدو الأول للدين، لأن غاية الدين لا تحققها إلافضيلة التسامح، يقول فولتير :" لقد وجد الدين ليجعلنا سعداء في هذه الحياة الدنيا و في الآخرة ، ما المطلوب كي نكون سعداء في الآخرة ؟، هو أن نكون في هذه الدنيا في حدود ما يسمح بؤس طبيعتنا أن نكون متسامحين ..."[1]

لقد كان فولتير رائدا لفكرة التسامح ومحاربا لكل أشكال التعصب، من خلال مؤلفاته الكبيرة فنجده في مؤلفه رسالة في التسامح مدافعا لقضية آل كالأس، وهي واحدة من روائع الفكر التنويري الفرنسي المنحاز إلى الحق أينما كان ، فقد استعرض فولتير في هذه الرسالة دفاعه رافضا الظلم و الاضطهاد بين الناس بسبب العقائد و الآراء معتبرا أن التعصب مخالف لجوهر الديانات جميعا، وهو موقف يعبر عن احترام فولتير لجميع الديانات رغم عدم إيمانه بها ، كما عبر في هذه الرسالة عن إعجابه بالنموذج الهولندي و الإنجليزي الذي ساد فيه السلام و التعايش بين الأديان والمذاهب المختلفة، فقد صور مشكلة التعصب بأنها مشكلة خاصة بالمسيحيين في أوروبا، كما لو أن أوروبا هي المكان الوحيد في العالم في ذلك الوقت الذي كان يخلو من التسامح، بخلاف الحال في باقي المجتمعات الأخرى، فضرب عدة أمثلة لمجتمعات عرفت و عاشت التسامح وهي :

*المجتمع الإغريقي : يري فولتير أن الحرية الفكرية التي سادت المجتمع اليوناني وتجسد هذا في مثال سقراط الذي يعتبر أقوي حجة يمكن أن نشهرها في وجه التعصب ونعبر بها النزعة الإنسانية التي حملها الفكر اليوناني و تبنها لتحقيق حرية فكرية و قيم إنسانية؛ كما رأي فولتير أن وجود هياكا وأماكن مكرسة لعبادة آلهة أجنبية علي أثينا هو أقوى دليل أيضا على تسامح الإغريق مع الأمم الأخرى و احترامهم لدياناتها، يقول فولتير مشيرا الحرية الفكرية عند اليونان :

"... إذن كان الدين يجمع بين البشر و يخفف أحيانا من شدة هياجا نهم و إن أمرهم أحيانا أخرى ... وقد أكون على خطأ و لكن يبدو لي أنه ما من شعب من الشعوب القديمة المتحضرة قد ضيق الخناق على حرية التفكير، كان لكل قوم دينهم ..."[2].

* المجتمع الروماني:يرى فولتير أن المجتمع الروماني أيضا قد عرف التسامح بين أفراد مجتمعه ، بالرغم من التجاوزات التي قاما بها المفكرين والعلماء فيها، حيث لم تقابل أقولهم بأي نفور أو تذمر ، كما قبلوا و تعايشوا مع جميع الديانات التي سادت مجتمعهم، ويقول في بداية مقاله في الرسالة الذي يدور حول إشكالية، ماذا لو كان الرومان متعصبون ؟؛ " عند الرومان منذ زمن رومولوس و حتى عهد دخول المسيحيين في نزاع مع كهنة الإمبراطورية، لم يتفق قط أن أضطهد إنسان واحد بسبب أرائه ، فقد شك سيشرون مثلا في كل شيء ، ولم يتردد لوقراسيوس في أن ينفي كل شيء أيضا ، ومع ذلك لم يوجه

[1] نقلا عن: فولتير، المرجع السابق، ص161.

[2] - فولتير،**رسالة في التسامح**، المصدر السابق، ص 51 .

إليهما أبسط لوم ..." [1]، ويقول أيضا :" ما كان الرومان يتعبدون بالديانات كافة، و ما كانوا يخلعون الصفة الشرعية الرسمية عليها جميعها ، بيد أنهم كانوا يسمحون بها بغير استثناء [2]" .

* المجتمع الياباني: يري فولتير أن اليابانيون هم أكثر الناس تسامحا، ولكن ما أثار حفيظة فولتير هو محدث لليابانيين من تحولهم من حالة تسامح و محبة إلى حالة من التعصب قادته إلى حرب أهلية، وحصل هذا بتأثير جماعة من المسيحيين المتعصبين بالطبع نظرا لحروبهم الأهلية الكاثوليكية البروتستانتية ، يقول فولتير : " لقد كان اليابانيون أكثر الناس تسامحا ، فقد تعايش اثنتا عشر ديانة داخل إمبراطوريتهم، و قد جاء الآباء اليسوعيون ليضيفوا إليها ديانة جديدة هي الديانة الثالثة عشر، بيد أن هؤلاء سرعان م جاهروا برفض بقية الأديان، فتسببوا في نشوب حرب أهلية لا تقل بشاعة عن تلك التي كانت قد فجرتها الرابطة الكاثوليكية ، فعم الدمار والخراب ومحق الدين المسيحي على الوجود في حمام من الدم، و قد أغلق اليابانيون إمبراطوريتهم في وجه بقية العالم "؛ انه وباء التعصب المسيحي الذي ينتشر أينما حل المسيحيين حاملين عدواه دون التفكير في طريقة للعلاج منه، ليس لأنهم يحبون هذا الوباء بل لأنهم لا يعون الأضرار التي يلحقونها بواسطته بالأخريين أو لأنهم ربما يرونه من وجهة أن الضرر الذي يلحقه بغيرهم يمثل لذة أو انتصار لهم .

***القاموس الفلسفي و فكرة الأنانية :**

يقول فولتير في قاموسه الفلسفي :" إخواني المسيحية بدأت لتوها تعرف السلام، ولكن ستلقونها في صراع أزلي، الإمبراطور يقول لكم : إنكم تريدون التصارع من أجل موضوع قوي وبسيط، صحيح أن موضوع عيسى المسيح هام ... لكن عيسى أمركم أن تحبوا بعضكم ، لكنكم بدأتم بعصيانه ببغضكم لبعضكم البعض، صانعين الفتنة داخل الإمبراطورية، إنها الأنانية وحدها التي ولدت هذا الانشقاق وهذه الفرقة ، بينما يأمركم عيسى أن تكونوا متواضعين [3]"

يرى فولتير هنا أن المسيحيين قد خالفوا المسيح بكرههم لبعضهم البعض، الذي ولد فتنة بينهم و انشقاق، وهذا بسبب الأنانية التي حملتها نفوسهم ، فقد انغلقوا و ضيقوا الخناق على تفكيرهم وعلى تعاملاتهم مع غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى، فقد ضنوا أنهم بهذا يحمون الدين و يطبقون تعاليم المسيح، لكن الواقع يثبت العكس وهو أن الروح الأنانية قد طغت عليهم ووصلت بهم إلى تعصب و كره للأخر و نكران ونفي له، ففواتير يرد عليهم بأن تشبههم بالمسيح لن يكون إلا إذا توقفوا عن الظلم وتنازلوا وعفوا، إذا أردتم أن تتشبهوا بالمسيح فكونوا شهداء لا جلادين يقول فولتير،فإذا كنا عاجزين عن معرفة الغيب؛ معرفة مإذا كان السيد المسيح مولود أو مخلوق، لأن معرفتنا لهذا حتى وإن وجدت فإنها لن توافق العقل – حسب فولتير– فلماذا نزيد من غموض و إبهام النصوص الدينية و المحاجات بها، إذا كان

---

[1] فولتير، **رسالة في التسامح**، المصدر نفسه ، ص 53

[2] - المصدر نفسه ، ص 54

[3] نقلا عن : نعيمة إدريس، **ازمة المسيحية بين النقد التاريخي والتطور العلمي**، المرجع السابق، ص 163 ،

السيد المسيح قد أتى بها واضحة لينة تحمل تعاليم و إرشادات تزرع المحبة والتسامح بين الناس، فيجب على المسيحي دعم هذا الدين بتطبيق هذه التعاليم ؛ يقول فولتير ناصحا إياهم و مبينا لهم الطريق الذي وضعه المسيح و أنه معاكس للطريق الخطأ الذي يسيرون عليه :" لا أحد منكم ، يمكن أن يعرف إذا كان يسوع مخلوق أو مولود ... و لا أحد عنده الدليل الأصح و الموافق للعقل، إنكم تشحنون العقيدة بالأسرار، وأنتم يفترض أنكم موجودون من اجل دعم الدين بالفضيلة، هل تريدون من الديانة المسيحية أن تصبح ركاما من السفسطات ؟ ا لأجل هذا جاء المسيح ؟ كفوا عن الجدل، أحبوا بعضكم بعضا ... غدوا الفقراء وقللوا من خصام العائلات بدلا من إضرار الإمبراطور بالخصومات والفتنة [1]"، فجميع الأساطير من إبداع الكهنة التي أوهموا بها الناس، بزرع روح التعصب في نفوسهم من أجل التسلط والسيطرة عليهم و جعلهم يؤمنون بها، رغبة منهم في جعلكم تخافونهم وتخشونهم بدل أن تخافوا الله وتخشوه .

1 نقلا عن : نعيمة إدريس، **ازمة المسيحية بين النقد التاريخي والتطور العلمي،** المرجع السابق، ص 163

المبحث الثالث: حدود التسامح عند فولتير :

صحيح أن فولتير قد انطلق في دعوته إلى التسامح، و حربه ضد التعصب من الدفاع عن قضية كالاس، وهي الأسرة الفرنسية التي تعرضت للظلم من طرف الحكومة و التي كان ضحيتها، أب حكم عليه بالإعدام على الدولاب، وأخ يجز في السجن، و أم و شقيقتان يتعرضن للنفي، والسبب هو انتحار ابنهم و اتهامهم بقتله، لم يكن السبب في هذا هو حرص الحكومة الفرنسية على أمن العائلة، أكيد، و لم يكن ابن هذه العائلة أول من ينتحر في فرنسا أو يقتل، ولكن السبب هو العداء الذي كان بين الكاثوليك والبروتستانت؛ فكالاس كان ينتمي للديانة الكاثوليكية، و كان ابنه مولعا بالبروتستانت، فعندما انتحر و لأسباب معينة جعلت الحكومة هذا ذريعة لتشعل نار اضطهاد جديدة بين المذهبين .

لم يكن هدف فولتير هو تبرئة العائلة فقط، بل كان يسعى إلى نشر رسالة عالمية، بتحقيق تسامح عالمي بين البشر .

يري فولتير أنه لم يقم بالجهد الكبير، أو البلاغة المتكلفة في إثبات ضرورة التسامح بين المسيحيين ، لكن جعل هذا التسامح عاما و عالميا بين البشر جميعا هنا تكمن الصعوبة ؛ فكان يدعوا إلى التسامح باعتبار البشر جميعا إخوة لنا ؛ فيقول :" أننا قد نرد عليه : أيكون التركي (المسلم) شقيقي ؟ و كذلك الصيني ؟ و اليهودي ؟ والسيامي ؟ ؛ اجل بلا ريب : أفلسنا جميعا أبناء أب واحد ، و مخلوقات اله واحد "[1].

ففولتير لا يضع حدود للتسامح و يعتبره قيمة إنسانية ، يجب أن تسود العالم، على اختلاف أشخاصه و لغاته و أماكنه و دياناته و عاداته ...؛ فيجب أن يكون التسامح تسامح مطلق، ويجب أن يعم سلام كلي ودائم للكون، والسبب في هذا كما يقول في بحثه في التسامح :" هذه الكرة (الأرضية) الصغيرة، التي ليست إلا نقطة تدور في المكان، مثلها مثل كرات أخرى ونحن تائهون في هذا المكان الهائل، إن الإنسان و قامته طولها خمس أقدام، هو قطعا شيء هين في الخليقة، وواحد من هذه الكائنات التي لا يمكن إبصارها، يقول لبعض جيرانه في الجزيرة العربية أو في بلاد الكفار، أصغ إلي إلى كل هذه العوالم؛ قد بصرنى : يوجد تسعمائة مليون من النمل الصغير مثلنا على سطح الأرض، لكن قرية نملى هي وحدها الأثيرة عند الله، أما سائرها فإن الله يكرهها منذ الأزل، وقريتي وحدها هي التي ستكون سعيدة، بينما سائر القرى ستكون تعيسة إلى الأبد "[2]؛ وهذه الدعوة هي شيء من الجنون و غير المعقول، لأنه من غير الممكن أن يخلقنا متساوون ثم يفرق بيننا ... .

---

[1] – نقلا عن : فولتير، **رسالة في التسامح** ، المرجع السابق، ص 165 .

2- نقلا عن : عبد الرحمان بدوي، **الموسوعة الفلسفية** ، المرجع نفسه ، ص 61 .

السلام الدائم حسب فولتير لن يتحقق مالم يتسامح الناس مع بعضهم البعض، ويتعلم كل واحد منهم كيف يتسامح مع من يخالفه في الأمور الدينية السياسية و الفكرية، فالقضاء على السلطة الكنسية التي تعيش في أرضها جذور التعصب هو الخطوة الأولى لبناء مجتمع سليم متسامح .

ختم فولتير رسالته في التسامح بمقالة عنوانها "صلاة إلى الله"، وهي دعوة ورجاء وجهه إلى الله لكي يعم السلام في الأرض، متخطيا فوارق اللغات والأماكن و الأجناس، يقول فيها :

" إذن لم أعد إلى البشر أتوجه بل إليك يأرب جميع الكائنات و العوالم والأزمان : (...) فهو أن تلطف و تنظر بعين الرحمة والشفقة إلى الأخطاء و الضلالات المترتبة على طبيعتنا، ولا تسمح بأن تكون هذه الأخطاء و الضلالات سبب هلاكنا، أنت لم تمنحنا قلبا كي نبغض بعضنا بعضا،(...) لا تسمح بأن تغدو هذه الفوارق الطفيفة التي هي من السمات المميزة لتلك الذرات المسماة بشرا، علامات حقد اضطهاد (...) حبذا لو تذكر البشر قاطبة، أنهم إخوة، وباليتهم يمقتون الاستبداد الذي يثقل باهظ وطأته على النفوس تماما كما يمقتون اللوصوصية التي تحرم بالقوة العاملين و أصحاب الحرف المسالمين من ثمرة عملهم ..." [1]؛ فلو تأملنا في تاريخ الأديان لوجدنا مؤسسيها يشيدون بالمطالب الأخلاقية ذاتها دوما، فالعقائد تختلف من ديانة إلى أخرى بينما الأخلاق واحدة وثابتة لدي جميع الناس، لكن الفرق هو في استخدام عقلنا في إدراكها؛ فمحمد و زرادشت وبوذا و المسيح ...، يدعون إلى الأخلاق ذاتها، فلماذا إذن التعصب والظلم مدمنا نشترك و نخضع للقانون الأخلاقي ذاته، وهو صالح وعام لجميع البلدان وجميع الناس وهو بديهي لو تأملنا لوجدناه داخل نفوسنا.

[1] نقلا عن : فولتير، **رسالة في التسامح** ، المرجع السابق، ص ص 169، 170 .

النقد و التقويم :

لقد زرع فولتير في الوعي القومي الفرنسي و الأوروبي إن لم نقل العالمي حب الحرية والتسامح ومقت التعصب و الخرافة والاضطهاد، و تعتبر فلسفته أكثر فلسفة حديثة مستنيرة عن روح عصر الأنوار؛ يقول هنري كلوار (الإنشاء الفرنسي) : " إن فلسفة فولتير الحقيقية، ... كانت تحمل طابع عصره بوضوح، تمتاز بثلاث جوانب : أولا، هي فهم للحياة و حكمة عملية، وفن العيش بسعادة مع التلذذ بخيرات الحضارة؛ وهي تقريظ متحمس لاستعمال المناهج التجريبية ضد اللاهوتيين من جهة، ومن جهة أخرى ضد العقلانيين الذين يفكرون على طريقة ديكارت التقليدية، وهي نقد للتعاليم القديمة و أمل في مستقبل أفضل للبشر في سبيل العدالة و التسامح [1]

وبالرغم من المكانة التي وصلت إليها أفكار فولتير التنويرية والسلام الذي نشرته رسائله ، إلا أن أسلوبه الساخر من أهم القضايا ووقفته في وجه أهم مؤسسات الدولة الدينية والكنسية ، جعله لا يسلم من النقد أحيانا إن لم نقل دائما.

فقد نظر إلى فولتير أن أعماله لم تكن ابتكارا ولا إبداعا إلا نوعا ما، اعتبرت دعوته لتسامح مثل الذي كان سائدا عند الإنجليز و رفضه للنظام الديني والسياسي في فرنسا ومحاربته له و اتهامه له بالفساد والظلم ، برغبة منه في السلطة والوصول إلى الحكم بطريقة لينة؛" كان فولتير في المجال السياسي يتمنى لفرنسا الحريات التي كان الإنجليز من الطبقات المتوسطة يتمتعون بها، ولم يعتقد فيما يبدو أنه يجب تقليد شكل الحكومة البريطانية، ولكنه كان يأمل بالأحرى في أن يحكم البلد بنية حسنة، حكومة ملكية مستنيرة، وقد تأثر المستبدون المستنيرون في عصر التنوير في بلاد أخرى بأفكار فولتير " [2] ؛

فقد انتقدت كتابات فولتير أيضا من ناحية أنها جعلت من عامة الناس يجعلون من الكنيسة وأنظمة الدولة مدعاة للسخرية؛ أي أنها شجعت على التقليل من شأن ومكانة المؤسسات الدينية و السياسية في الدولة و جعلتها محل سخرية من طرف عامة الشعب التي كانت معظم كتاباته موجهة إليهم، كرسالته في التسامح ومعظم رواياته وأعماله الأدبية والمسرحية .

كما شبه فولتير بطغاة الشرق القدامى، لأنه عالج مسالة المسيحية والكتاب المقدس بالطريقة التقليدية متبعا في ذلك خطي معظم فلاسفة عصره الذين نظروا للأناجيل أنها تعسف من طرف الملوك ة الرهبان؛ كما تجاهل المكانة الفكرية التي تحملها الأناجيل من قيم فكرية وأخلاقية التي كان باستطاعته بفضل ذكائه و فكره الفذ أن ينظر إليها نظرة أكثر إيجابية و عملية .

ونجد فولتير يدعو من ناحية إلى التسامح الديني بين الناس، ومن ناحية أخرى يجادل ضد الديانة المسيحية، كما دعا إلى الإيمان بالله الواحد منظم هذا الكون، وناقض فولتير في هذا فلسفة الأنوار التي

---

[1] - نقلا عن : فولتير، **كانديد أو التفاؤل**، المرجع السابق، ص ص 325 ،326 .

[2] - ويليم كلي رايت، **تاريخ الفلسفة الحديثة** ، المرجع السابق، ص 234 .

تدعوا إلى الانفتاح والمادية والإبعاد عن كل ما هو ديني، كما حارب المسيحية باعتبارها أحد أكبر دعائم التعصب ومنبع الفتن وسبب الحروب، ولكن من جهة أخرى دعا إلى التسامح، وبهذا يكون قد نفى مكانة الدين وضرورته داخل المجتمعات، وكأن الرسل و الأنبياء و الديانات عبر التاريخ قد جاءت عبثا.

خاتمة

خاتمة

من خلال بحثنا هذا وتحليلنا للموضوع توصلنا للنتائج التالية :

*يدخل مصطلح التسامح في إطار الفكر والفلسفة، وهو يعبر عن الممارسة العملية للأخلاق، وهو قديم الممارسة دلت عليه ممارسات الإنسان تحت اسم التنازل عن الحق و اللامبالاة والمحبة واللين والتساهل...، لكنهم مصطلح حديث ،يدل على الاعتراف بالآخر وقبول اختلافه عنا دينيا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا... .

*رفض و محاربة الفكر التنويري للتعصب، باعتباره من معيقات التسامح غن لم نقل معيقات الفكر و الانفتاح والحرية.

* مساهمة رسائل التسامح لفولتير ولوك والفلاسفة الموسوعيين في زرع روح المحبة والتسامح داخل المجتمع الأوروبي، والقضاء على التعصب المسيحي الكاثوليكي البروتستانتي .

* الدور الذي لعبته كتابات لوك ونيوتن وتسامح المجتمع الإنجليزي في تكوين فكر فولتير.

*ومنه فإنه يجب على الإنسان حسب ما دعت إيه نصوص الإنجيل وآيات القرآن، أن يقبل ويحترم المعتقدات الدنية و المذاهب المختلفة والمخالفة لما نعتقده أو نؤمن به، وان نحترم الآراء و الأفكار المختلفة وفقا لآداب الحوار وعدم التعصب، وأن تتعايش القيم والعادات والتقاليد والتوجهات الثقافية المختلفة ، وتحترم حقوق الإنسان السياسية و الاجتماعية، ومنه وجب علينا التسامح والتحاور مع الأخريين من بني جنسنا، دينيا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا، من أجل أن نعيش بسلام و نحرر العقل من سلطان التعصب وسجن الفهم الخاطئ للدين.

*لقد أقام فولتير دعوته للتسامح على أساس أن التسامح خاصية إنسانية، ودعا إلى وجوب أن يكون لدى لإنسان استعداد دائم للصفح عن الأخطاء و التسامح مع المخطئين، وهو الوسيلة الوحيدة لتجاوز مشكلة التعصب الديني، وحل مشكلة تعدد الملل والمذاهب داخل الكنيسة.

*يعكس التسامح الروح الفلسفية التي تمنح النفس السكينة، عكس التعصب الذي يعيش صاحبه حالة صراع وغضب وحرب داخلية.

* ومنه فإن التسامح خاصية إنسانية ذات بعد إيديولوجي ارتبطت بالإنسان منذ القديم، وهي قديمة قدم الوجود حديثة حداثة فلسفة الأنوار، وما يصنع هذه المفارقة هو تطور المفاهيم مع التطور الذي شهده العقل الإنساني ومع التغير على مستوي المفاهيم، فهو مفهوم مجرد كغيره من المصطلحات الحديثة، ارتبط بالسياسة و بالدين وبالأخلاق.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

* الكتاب المقدس (العهد الجديد)

أولا:المصادر:

1- فولتير، **رسالة في التسامح**، تر: هنريت عبودي، ط1، دار بترا للنشر والتوزيع، سوريا، 2009.

2- ـــ ، **رسائل فلسفية** ، تر: عادل زعيتر، دار التنوير، لبنان ، ط1، 2014.

3- ـــ، **كانديد أو التفاؤل** تر: انا ماريا شقير، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 2005.

ثانيا: المراجع:

4- إبراهيم مصطفى إبراهيم، **تاريخ الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**، دارالوفاء لدنيا الطباعة والنشر، بيروت، د ط، 2001.

5- إسماعيل ابن كثير الدمشقي، **تفسير القران الكريم**، المجلد 6، تحقيق مصطفى السيد وآخرون، مؤسسة قرطبة لكتب اولاد الشيخ للتراث ، بيروت ،ط1، 2000.

6- أحمد شلبي، **مقارنة الأديان** ، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة ، ط8 ، 1988.

7- إميل إبراهيم ،**تاريخ الفلسفة في القرن الثامن عشر**، تر:جورج طربيشي، دار الطليعة ، بيروت، ط1، 1983.

8- أرسطو، **أرسطو في السياسة (مجموعة الروائع الإنسانية)**، تر: اوغسطين بربراه البوشي، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع ، بيروت ، ط3 ، 1980.

10 - توما الإكويني، **الخلاصة اللاهوتية** ، تر: بولس عواد ، دار المطبعة الأدبية، بيروت، د ط ، 1981.

11- توماس هوبز، **الليفيتان(الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة)** ، تر:دينا حرب و بشرى صعب، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط1 ، 2011.

12- جفري بار ندر، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب** ، تر: إمام عبد الفتاح إمام ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط، 1993.

13- جوزيف نيدهام، **تاريخ العلم والحضارة في الصين**، تر: غريب جودة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، د ط، 1995.

14- جون كولر، **الفكر الشرقي القديم** ، تر: كامل يوسف حسن وامام عبد الفتاح امام ، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 1995.

15- جيمس كويلينز، **الله في الفلسفة الحديثة** ، تر: فؤاد كامل، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د ط ، 1998.

16- جون لوك، **رسالة في التسامح** ، تر: منى ابو سنة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، ط1، 1998.

17- جورج زيناتي، **رحلات داخل الفلسفة الغربية** ، دار المنتخب العربي، بيروت، ط1 ، 1993.

18- جي جي كلارك ، **التنوير الأتي من الشرق** ، تر: شوقي جلال ،

19- حسن حنفي، **في الفكر الغربي المعاصر**، المؤسسة الجامعية للدرسات والنشر، بيروت ، ط4، 1990.

20- خه جاو وتانخ يويوات وأخرون، **تاريخ تطور الفكر الصيني** ، تر: عبد العزيز حمدي عبد العزيز، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1،2000 .

21- ريمون غوش، **الفلسفة السياسية في العهد السقراطي** ، دار الساقي ، بيروت ، ط1 ،2008.

22- سلامة موسى ، **حرية الفكر وأبطالها في التاريخ** ،دار اوارة الهلال، مصر، د ط، د ت.

23- عبد الرحمان بدوي ، **خريف الفكر اليوناني** ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط6 ، 1979.

24- عبد الله المسيري ، **فكر حركة الاستنارة وتناقضاته** ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط1 ،1998.

25- فايز فارس ، **الأخلاق المسيحية** ، دار الثقافة ، القاهرة ، ط1 ،1992.

26- كامل محمد عويصة ، **الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ،1993.

27- محمد حسن ، **تيارات الفلسفة الشرقية** ، منشورات دار علاء الدين ، دمشق ، د ط ، 1999.

28- مصطفى النشار ، **المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية** ، دار الانباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 1998.

29- وليم كلي رايت ، **تاريخ الفلسفة الحديثة** ، تر: محمود سيد احمد ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، د ط، 2010.

30- مانع السعدون ، **المسيحية العقيدة والمذاهب والتاريخ** ، دار الينابيع ، سوريا ، ط1 ، 2010.

31- يوسف كرم ، **تاريخ الفلسفة الحديثة** ، دار المعارف ، القاهرة ، ط1 ،

32- هـ ج كريل ، **الفكر الصيني من كونفوشيوس الى مارتن تونج** ، تر: عبد الحميد سليم ، مراجعة : علي ادهم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د ط ،1998.

33- محمد رشاد عبد العزيز وهمين ، **مع مسيرة الفكر الإنساني في العصر القديم** ، مطبعة الفجر الجديد ، ط1 ،1988.

34- ول ديو رانت ، **قصة الفلسفة** ، تر: فتح الله محمد المشعشع ، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، ط6، 1988.

35- ماكس هوركهايمر وثيو دورف ادورنو ، **جدل التنوير** ، تر: جورج كتورة ن دار الكتاب الجديد، المانيا ، ط1، 2006.

36- مايكل انجلو ، **أعداء الحوار (أسباب اللاتسامح ومظاهره)** ، الهيئة المصرية العامة للحوار ، القاهرة، د ط ، 2010.

37- كرين برينتون ، **تشكيل العقل الأوربي الحديث** ، تر: شوقي جلال ، عالم المعرفة ، الكويت ، د ط، 1978.

38- زكي نجيب محمود ، **قصة الفلسفة الحديثة** ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، د ط، 1936.

ثالثا: المعاجم والموسوعات:

1- اندريه لالاند ، **موسوعة لالاند الفلسفية** ،المجلد الأول، تر: خليل أحمد خليل ، دار عويدات ، بيروت ، ط2، 2001.

2- إبراهيم مدكور ، **المعجم الفلسفي** ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة ، د ط، 1983.

3- جان ماري ريزاس ، **موسوعة الأديان في العالم** ،تر: جميل مدبك دار كريس انتر ناشيونال، د ط، د س ن.

4- جورج طرابيشي، **معجم الفلاسفة** ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ط3، 2006.

5- جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**،ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ط، 1982.

6- محمد خير الفيروز الابادي، **قاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2 ، 2005.

7- محمد الجرجاني، **معجم التعريفات**، تر: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 1985.

8- كامل سعفان، **موسوعة الأديان القديمة**، دار الندى، بيروت، ط1، 1999.

9- محمد جواد مغنية، **مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د ط، د س ن.

10- عبد الرحمان بدوي، **موسوعة الفلسفة**، ج2، المؤسسة العربية للدرسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1984.

11- عبد الوهاب الميسري، **الموسوعة الموجزة اليهود واليهودية والصهيونية**، دار الشروق ،القاهرة، ط3 ،2006.

12- هـ فرنكفورت وآخرون، **ما قبل الإنسان في مغامراته الفكرية الاولى**

13- Dictionnaire de francais . **ed ,larousse**,2008.

رابعا: الأطروحات الجامعية :

1- نعيمة إدريس، إشراف: زروخي إسماعيل، **أزمة المسيحية بين النقد التاريخي والتطور العلمي**، جامعة قسنطينة قسم الفلسفة، 2007-2008.

الملخص:

تعالج هذه الدراسة إشكالية التسامح في فلسفة الأنوار وقد اخترت فولتير كنموذج لفلسف التسامح التنويرية.

وقد أتضح من خلال هذه البحث أن مصطلح التسامح حديث الظهور وهو وليد عصر الأنوار، جاءت الدعوة إليه باعتباره ضرورة إنسانية كرد فعل على التعصب الديني الذي كانت تشهده أوروبا، دعا إليه بداية جون لوك في كتابه رسالة في التسامح، ثم جاء بعد قرن من الزمن الفيلسوف الفرنسي ورسول التسامح فولتير وكتب رسالة أخرى في التسامح، تناول فيها فكرة التسامح من عدة جوانب، بدأها بقضية أل كلاس كما جاء فيها ذكر للمجتمعات غير أوربية عرفت التسامح، وبين إلزاميته كضرورة داخل المجتمع الفرنسي على وجه الخصوص للحد من الصراع بين الكاثوليك و البروتستانت ، و إخماد نار التعصب، وضرورته كقيمة أخلاقية دعت الأديان وتفرضها السياسة و الاجتماع .

الكلمات المفتاحية

التسامح ، التعايش ، التعصب ، الأنوار ، حرية المعتقد.

Résumé

Cette étude traite la problématique de tolérance dans la philosophie des religions, et nous avons choisi Voltaire comme un modèle de tolérance entre les religions.

Nous avons conclu dans cette recherche que le terme de Tolérance est moderne et il est né récemment ; il a été utilisé comme une nécessité humaine et comme une réaction de l'extrémisme religieux dans l'Europe. John Lok est le premier qui a provoqué ce terme dans son lettre de tolérance, puis et après un siècle, il a été réutilisé par le philosophe français et le messager VOLTaiRe, il é écrit une autre lettre de tolérance en abordant l'idée de tolérance de différent points, en commençant par AL CLASS et il a mentionné aussi les sociétés non-européenne qui ont connu la tolérance, et entre sa nécessité dans la société fraénçaise notamment pour limiter le conflit entre les catholiques et les protestante et résoudre ces probmlèmes comme une valeur sociales et morales dont toutes les religions insistent sur.

Mot clés : Tolérance, coexistence, intolérance, Anwar, liberté de croyance.voltaire

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
الإهداء	
شكر وعرفان	
مقدمة	أ-ج
الفصل الأول : فكرة التسامح في الحضارات الشرقية وفي الفلسفة اليونانية	
المبحث الأول : التسامح بين النشأة والمفهوم	5
نشأة مصطلح التسامح	5
التسامح لغة	6
التسامح اصطلاحا	7
المبحث الثاني : فكرة التسامح في الحضارات الشرقية	9
الفرعونية	9
بلاد ما بين النهرين	11
الهندية	13
الصينية	16
المبحث الثالث : فكرة التسامح في الفلسفة اليونانية	19
سقراط	19

أفلاطون	22
الرواقية	24
أرسطو	25
الفصل الثاني : التسامح في الفلسفة المسيحية وفي الفلسفة الغربية الحديثة	
المبحث الأول : التسامح في الفلسفة المسيحية (أوغسطين ، توما الاكويني)	29
المبحث الثاني : التسامح في الفلسفة الغربية الحديثة (توماس هوبز ،جون لوك)	34
المبحث الثالث : التسامح في فلسفة الأنوار	40
الفصل الثالث : التسامح عند فولتير	
المبحث الأول : المصادر الفكرية لفلسفة فولتير	47
المبحث الثاني : من كانديد إلى رسالة التسامح	50
المبحث الثالث : حدود التسامح عند فولتير	61
نقد وتقويم	63
الخاتمة	66
المصادر والمراجع	68